الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

صورة الموت في شعر ابن الرومي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

✓روميسة نقاشي

✓يسرى رزيق

إشراف:

✓ د. نادية كتاف

أعضاء لجنة المناقشة

د. محمد زكور	جامعة جيجل	رئيسا
د. نادية كتاف	جامعة جيجل	مشرفا
د. كريمة رامول	جامعة جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020 م/ 1442–1443 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

صدق الله العظيم

سورة التوبة

الآية: 105

شكر وعرفان

بادئ الأمر نحمد الله تعالى ونشكره على

النعمة التي وهبنا إياها نعمة العقل

والذي وفقنا إلى إتمام هذا البحث.

نتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذتنا المشرفة " نادية كتاف "

وعلى المساعدة التي قدمتها لنا

وعلى حسن الاستقبال والتقدير

نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث

وإعداده من قريب أو من بعيد

وعلى من أعاننا بالكلمة الطيبة والدعوة المستجابة حتى وفقنا في هذا **البحث.**

مقدمة

مقدمة

عرف الأدب في العصر العباسي ، قمة نموه و نضجه ، فكان مرآة عاكسة و صورة ناصعة، لما حققته الحضارة الإنسانية على يد العرب بكل أشكالها ، و بات الشعر غاية العامة و الخاصة فتنافسه أغلبهم على أبواب حكامهم ، وكثر عدد النظامين والشعراء و رسخ التاريخ من استطاع إثبات موهبته الشعرية الحقة ،فطارت شهرة الكثيرين منهم في الأفق ، لذلك نرى أنّه من المفيد أن نعرج إلى أحد أعلام هذا العصر ، ألا وهو" ابن الرومي " الذي تمكن بعبقريته الشاعرية أن يكتب اسمه في رقيم الخالدين فكان ترجمان الأحاسيس و العواطف ، وهذا ما انعكس على شعره الذي يعتبر نموذجا رفيعا للشعر الرقيق الإنساني ، كما امتاز شعره بالسلاسة و العذوبة وصدق العاطفة ، لذلك جاء بحثنا موسوما بـ " صورة الموت في شعر ابن الرومي " وقد انجذبنا إلى تجربة ابن الرومي في مواجهة الموت و تقصي كونه الشعري و أفاقه الروحية ، و أثره و تجلياته على نفسيته و شعره ، يعدّ من أهم الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع و البحث في خفاياه ، إضافة إلى فضولنا العلمي الذي دفعنا إلى التطلع على شعر ابن الرومي في الموت ، والكشف عن عواطفه و مشاعره ، و كيف كانت نظرته للحياة بعد سلسلة النكبات التي حلت به ، وكذلك الكشف عن موهبته الإبداعية الفذة التي خلدتها كتب التاريخ ، إضافة إلى أن هذا الشاعر لم يحظ بكثير من الدراسة وعليه انطلق بحثنا من إشكاليات رئيسة تمحورت حول التساؤلات الآتية:

- كيف كانت الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي ؟
- إلى أي مدى أثّر الموت في نفسية ابن الرومي ؟
- ما هي تجليات و تمظهرات الموت في شعر ابن الرومي ؟
- إلى أي مدى وفق ابن الرومي في نقل صورة الموت في شعره ؟

وعلى حسب علمنا لم يحظ هذا الموضوع بالذات بدراسة وافية من قبل الدارسين فجلّ الدراسات ركزت على جوانب أخرى من شعر وحياة ابن الرومي ، باستثناء بعض منها فقط الذي تناول هذا الموضوع أو ما يتصل به دون تعمق واستفاضة، منها مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي بعنوان الحياة والموت في شعر ابن الرومي "لمحمد سعيد حموه " الذي قدّم من خلالها نظرة ابن الرومي للحياة والموت على حدّ سواء من دون الإحاطة بشكل مفصّل بتجليات الموت وموضوعاته ومن دون رصد معجم الموت في شعر هذا الأخير .

مقدمة:

ومن أهم المصادر والمراجع التي ساعدتنا بشكل كبير في إنجاز هذا البحث نجد :

- ركان صفدي ابن الرومي الشاعر المجدد .
- عباس محمود العقاد ابن الرومي حياته من شعره.
- عز الدين إسماعيل الرؤية والفن في الأدب العباسي.

وقد انتهجنا خطة منهجية –تتوافق مع طبيعة الموضوع– تتوزع على مقدمة ومدخل نظري وفصلين وخاتمة.

فبعد مقدمة تطرّقنا فيها إلى سبب اختيار الموضوع والإشكالية وأهم الدراسات السابقة...الخ، خصصنا المدخل لتناول الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي ، تلاه الفصل الأول الذي عنوناه بـ" مقاربة في مفهوم الموت" أبرزنا فيه مفهوم الموت (لغة واصطلاحا)، ثم هاجس الموت في الآداب والفلسفة والأساطير.

أما الفصل التطبيقي فجاء بعنوان "أثر الموت وتجلياته في شعر ابن الرومي " حاولنا من خلاله رصد تجليات الموت في ديوان ابن الرومي من خلال الأغراض ، كما تناولنا ملامح الموت في شعر ابن الرومي ، وقمنا بحصر معجم خاص بألفاظ الموت من خلال ديوانه.

وفي نهاية البحث قدّمنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع، كما زودنا البحث بملحق للتعريف بابن الرومي وأهم منجزاته ومؤلفاته .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتبع منهجا معيّنا لهذه الدّراسة، وهو المنهج النفسي والمنهج الاجتماعي ذلك لأنه –حسب رأينا– المنهج الأنسب الذي يخدم موضوع بحثنا فهو يكشف لنا عن ذات المبدع ويعيننا على فهم دوافعه.

أما عن الهدف من دراستنا هاته فهو إبراز تجلّيات وأثر الموت عند ابن الرومي من خلال ديوانه.

وكأي بحث تعرّضنا لجملة من الصعوبات والعوائق منها : ندرة المصادر والمراجع التي تناولت ابن الرومي و كل ما يخص حياته النفسية و الاجتماعية ، و كذا ضيق الوقت المحدد لانجازه .

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة "نادية كتاف " وعلى كل النصائح والإرشادات التي قدمتها لنا ووقوفها إلى جانبنا إلى غاية إنهاء العمل ، وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا إلى حدّ ما في إنجاز هذا البحث .

مدخل: الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي

1- طبقات المجتمع

2- الحضارة و الترف و الملاهي

3- الرقيق و الجواري و الغناء

4- الموجون و الزندقة و الشعوبية

5- الزهد و التصوف

تعد الدولة العباسية، من الدول الإسلامية الأكثر تعميرا على امتداد التاريخ الإسلامي، إذ قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية، إثر معارك دامية أسفرت عن انتقال السلطة إلى أبي العباس السفاح المؤسس الأول للدولة، والذي أرسى دعائم الحكم ونهض بأعباء الدولة واتخذ من بغداد عاصمة له وسماها دار السلام ، وقد توالى على الخلافة من بعده خمسة وثلاثون خليفة، كان أخرهم المستعصم بالله عندما سقطت بغداد في أيدي التتار سنة 656هـ[1]، وانتقلت الخلافة بعد ذلك إلى مصر حيث كان الحكم للسلاطين المماليك .

كان العصر العباسي الأول من أزهى الفترات وأكثرها مفخرة للعرب حيث بلغ هذا العصر قمة الرقي والتطور الحضاري، في شتى المجالات بفعل الامتزاج الثقافي بالشعوب الأخرى حيث عرف نشاطا واسعا لم تعهده العصور السابقة، فهو العصر الذي بلغ كل شيء فيه أقصاه من حيث قوة الخلافة، وعظمة الخلفاء ومجد الدولة على عكس الفترة الثانية والتي اتسمت بضعف الخلافة وضياع هيبة الخلفاء وفساد شؤون الدولة .

" ويبدأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة 232 هـ، وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة 334 هـ "[2]وقد سمي هذا العصر بالعصر التركي بفعل تسلط الأتراك فيه والذي بلغ حدّا كبيرا، بالإضافة إلى هؤلاء الأتراك كان هناك عناصر أخرى من فارسي وعربي ورومي وزنجي كان لهم التأثير الكبير في شتى جوانب الحياة أنداك.

أما الأتراك فهم أصحاب ألنفوذ السياسي في الدولة، فقضوا على نفوذ الفرس والعرب، وتولوا شتى المناصب الرفيعة في الحكومة، وترجع بداية تواردهم إلى عهد المعتصم، ويرجع ذلك إلى ضعف ثقة الخلفاء بالفرس والعرب على مر الأيام.

---

[1]– ينظر :علي بن العباس بن جريح ابن الرومي : الديوان، تح : أحمد حسن بسج ،ج2، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط3 ،1423 هـ، 2002 م، ص 3 .

[2]– جرجي زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية ،ج1 ، ابن الرومي : الديوان، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة، مصر دط، دت، ص 553 .

وقد كان هؤلاء الأتراك مسلمين إذ اسلموا على اثر فتح المسلمين لبلادهم وكانوا مشهورين بالجمال والنظافة، فكثرت الجواري الأتراك في قصور الخلفاء والأثرياء حتى إن كثيرا من الخلفاء من أمهات تركيات، وطابع الترك حب الجندية والفروسية، كما كانوا أقوياء أشداد أصحاء كما تستلزمه طبيعة بلادهم وبداوة معيشتهم .[1]

وقد كره أهل بغداد مجيئهم، إذ كانوا شؤما عليهم في حلهم وترحالهم حين قبضوا على زمام الأمور وتغلغلوا في مفاصل الحكم ونفروا منهم لخشونة طبعهم في تعاملهم مع الناس "وأخلاقهم الاجتماعية الضعيفة وقد كان فيهم عبث في الأخلاق ، وشراهة في جمع الأموال" .[2]

ولكن مع مرور الأزمان عليهم واستيلاءهم على البلاد المنعمة المترفة، وكثرة الأموال في أيديهم حضرهم وعلّمهم النعيم والبذخ، فالأتراك أول نفوذ إلى الدولة العباسية وهم أولى من استولى على شتى المناصب الرفيعة فيها.

أما العنصر الفارسي فقد كانوا عماد النظام السياسي والإداري للدولة في العصر العباسي الأول، وبيدهم تصريف شؤونها وكان الخلفاء يعتمدون عليهم في أهم الأمور لكن الأتراك أقصوهم من منزلتهم، فأخذوا يدسون الدسائس ويدبرون المؤامرات والمكائد ويرمون إلى الاستقلال ببلادهم عن الخلافة، وكانت الدولة تتأثر بهم في حياتهم العقلية الخصبة وعاداتهم وتقاليدهم العامة ، وكانوا دعاة الترف والمجون والحضارة، وطابعهم حب السيادة والبذخ، وتنظيم إدارة الدولة، وتشجيع العلوم والظهور بمظهر التشيع.[3]

يظهر من خلال هذا الطرح أن الفرس قد أقصوا وزحزحوا من مكانتهم بفعل تسلط الأتراك عليهم مما دفع بهم إلى تدبير المؤامرات بغية الاستقلال ببلادهم واسترجاع مكانتهم المسلوبة .

---

[1]- أحمد أمين : ظهر الإسلام، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر ،ط2، 1365 هـ ،\ 1946 م، ص 32.

[2]المرجع نفسه، ص34-35.

[3]- محمد عبد المنعم الخفاجي :الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية ،مصر ،ط1 ،2004 م ص 22 .

وإلى جانب النفوذ التركي والفارسي كان هناك النفوذ العربي إلاّ انه أقصي من النفوذ في الدولة، والخلافة وكان للمعتصم في دلك أثر معروف وكان تقاطرهم أظهر ما يكون في الشام والجزيرة، حيث كان لهم دويلات كثيرة، وطابع العربي ميل إلى البداوة وحكم القبيلة، واعتزاز بالنفس والدم واحتقارهم لغير جنسهم، والميل إلى الأدب والشعر[1]، فالعرب شرذمة قليلة مقارنة بالعناصر الأخرى ولم يكن لها أي تأثير في الدولة أنداك .

كما كان هناك عنصران آخران كان لهما أثر كبير في الحياة الاجتماعية في هذا العصر وهما الزنج والروم، أما الروم فقد كثر أسراهم في بيوت الخلفاء والأغنياء حتى كان بعض الخلفاء من أمهات روميات، وكانت الجواري الروميات والغلمان يملأن القصور، وقد أنجب هذا العنصر الرومي أدباء وعلماء كان لهم في فنهم وعلمهم طابع خاص لم يكن مألوفا في العقلية العربية والفارسية، ومن أشهر هؤلاء أبن الرومي[2].

أما الزنوج أو السود فقد كان عددهم كبيرا وكانوا يجلبون من سواحل إفريقيا الشرقية، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة في بيوت الطبقة المتوسطة وكان الزنوج يفتخرون بطلاقة اللسان وشدة الأبدان وسخاء وطيب النفس .[3]

هكذا كانت الدولة العباسية في ذلك الوقت مؤلفة من هذه العناصر باختلاف أجناسها وأدياتها وثقافاتها واجتمع الخليط من الحضارات العرب والفرس والترك والروم إلى خليط من عوامل القوة والضعف والبشارة والإنذار فكان نسيجا من مختلف الألوان .

بالحديث عن الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني، فقد كانت تسير في طريق بعيد عن المألوف شديد الاضطراب والفوضى إلى حد كبير ، على عكس العصر العباسي الأول الذي كان يعيش حالة استقرار

[1]– ينظر : محمد عبد المنعم الخفاجي : الحياة الأدبية في العصر العباسي 22 .

[2]– المرجع نفسه: ص22، 23 .

[3]– ينظر :أحمد أمين : ظهر الإسلام ،ص 80 .

وامن ونعيم ورخاء فقد شهد هذا العصر العديد من الأحداث السياسية المتضاربة وتنازع تيارات النفوذ من فارسي وتركي على الدولة ودسائس وفتن بينهما، بالإضافة إلى اضطراب الحالة الاجتماعية، كالإقطاع والاحتكار المصادرات والاستبداد وأحيانا ثورات دامية كثورة الزبيديين بالكوفة وثورة الزنج بالبصرة سنة 869 م، وكذا انتشار النهب والاختلاس من أ موال الدولة[1].

كل هذه التناقضات الحادة، ولدت تباينا طبقيا وخللا سياسيا، وفسادا اقتصاديا، وهذه وقفة على أهم ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني :

1- طبقات المجتمع

لقد كان التفاوت الطبقي في المجتمع العباسي صارخا بل كان السمة البارزة فيه، إذ توزع مجتمع العصر العباسي الثاني على ثلاث طبقات أساسية، طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة وما يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان ودوي اليسار، وطبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والعلماء والتجار والصناع الممتازين ، ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق .[2]

"إن أهم ما يميز هذا العصر الثراء الفاحش الذي تنعم به الكثير من الناس، وخصوصا عظماء القوم من الخلفاء والأمراء ، فقد كانت هذه الطبقة تغرق في النعيم ، وكان ذلك بفضل اتساع رقعة الدولة ووفرة الموارد الاقتصادية، وأموال الفيء والخراج التي كانت تجبى من أقاصي الدولة وأدانيها ومن الأقاليم المختلفة إلى دار الخلافة "[3]

[1]- ينظر : محمد عبد المنعم الخفاجي : الحياة الأدبية في العصر العباسي ،ص 23 .

[2]—ينظر: شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط2، د ت، ص 53 .

[3]—ابن الرومي :الديوان، ص 4 .

وكذلك ادخار الخلفاء للأموال والتي بلغت حدّا كبيرا فشيدوا القصور الفخمة وتباروا في بنائها، فقد" انفق المعتصم على بناء سامرا أموالا طائلة ، وكذلك فعل المتوكل ، وبني المعتضد منه قصر التاج في الجانب الشرقي من بغداد ، وأتمه ابنه المكتفي وبني المعتضد على بعد ميلين منه قصر الثريا الذي بلغ طوله ثلاثة فراسخ وانفق عليه نحو نصف مليون من الدنانير ووصله بقصر الحسنى سرداب تحت الأرض حيث بلغ طوله ميلين وكانت تمشي فيه جواريه وحرمه "[1]

كما اتخدو ا الفاخر من الأثاث والملابس والمأكل والمشارب ، واقتنوا الجواري الحسان والغلمان، وقد كان للوزراء والقواد أيضا يعيشون في هذا النعيم نفسه لما كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة وما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة، فأنغمس الناس في الترف والبذخ غافلين عن تهاوي فئات كثيرة من الشعب في درك الفقر والعوز والمهانة.

أما طبقات المجتمع الأخرى فهي الطبقة الوسطى وفي مقدمتها ، علماء اللغة العربية والفقه والتفسير والتجار الحرفيين والصناع، ورجال الجيش الذين كان همهم الأوحد جمع المال وادخاره ليصيروا في عداد الأثرياء من أهل.

الطبقة العليا، وكان كثير منهم يأخذون رواتب من الدولة، فكان لجشعهم عواقب وخيمة أخلاقيا واقتصاديا ، ويتجلى دلك في تفشي حالات الفقر بسبب الاستغلال الفاحش.

كما ظهر في دلك العقد النفسية والأمراض المختلفة كالابتعاد عن الناس أو الوقوع في براثين الرذيلة واللهو والمجون ، أو الوقوع في البخل والشح بغية الثراء .[2]

[1]– ينظر: أحمد أمين : ظهر الإسلام، ص 97 .

[2]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر العباسي ،ص23 .

وتأتي بعد ذلك الطبقة العامة من الرعية والتي يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة وفي الصناعات الصغيرة ، وخدمة أرباب القصور ، وكانت هذه الطبقة تعمل في كل المهن الحقيرة ، وهي التي تقدم أسباب العيش للطبقتين الوسطى والعليا ، فكل ما تتقلب فيه هاتان الطبقتان إنما هو من صنيع هذه الطبقة العامة .[1]

"إنه مجتمع المتناقضات الغنى إلى جانب الفقر والفاقة الفجور والمجون إلى جانب الزهد والتصوف واللهو والترف والقصف إلى جانب العبادة والتبتل. وهلم جرا "[2]، هكذا كان الترف والنعيم حظ عدد قليل هم الخاصة من الناس في حين كان البؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس .

2-الحضارة والترف والملاهي:

كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الثاني بشكل عام ، حياة ترف ونعيم وقد بذا ذلك جليا من خلال مظاهر الحضارة أفانين المعيشة الفاخرة، حيث "ورث القرن الثالث حضارات العرب والفرس والروم ، أساليب اللهو في هذه الأمم "[3]، وهذا بفعل الحياة الاجتماعية الراقية وامتزاجها بحضارات وثقافات الشعوب الأخرى ، فرأينا تفنن الخلفاء والأمراء في بناء القصور الباذخة حتى ليشبه بعضها مدنا صغرى تمتلئ بالأبنية والأفنية والبساتين والبرك والنافورات تصور ما كانوا ينعمون به من عيشة رغد، كما أصبحت قصورهم مقرا للجواري والغلمان من مختلف الأجناس والذين أصبحوا عنصرا أساسيا في حياة الخلفاء وعقدوا مجالس اللهو والطرب، والتي تعد من مظاهر الحضارة أنداك ، مجالس أسهم فيها الشعراء والأدباء بكل فن مستطرف وبديع مستظرف فلا تدري أهي مجالس شراب عقدت من أجل الفن والأدب أم هي مجالس فن وأدب كانت من أجل الشراب، وكان لهذه المجالس ملابسها الخاصة يسمونها ثياب المنادمة ، وهي أثواب مصبوغة بالألوان الزاهية، يصقلونها حتى تلمع وتشرق ويعطرونها بالطيب ويزينونها بنسيج الذهب .

---

[1]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص 23 .

[2]– زكان الصفدي :ابن الرومي الشاعر المجدد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012 م، ص 72 .

[3]– عباس محمود العقاد:ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012 م، ص20.

أما النساء فقد كن يبالغن في أناقتهن وزينتهن فكن يلبسن ثياب السندس والإستبرق والحرير من مختلف الألوان ، وكنّ يتحلين بالجواهر من كل صنف من الذهب والفضة والزمرد والياقوت واللؤلؤ ، وكنّ يتخذن منها عقودا وتيجانا وأقراطا وخلاخيل كما تفنن في أوضاع شعورهن و تعطرن بأطيب العطور.[1]

فعقدت مجالس الشرب التي تسمى مجالس الأنس، لمعاقرة الخمر والغناء وإقامة الحفلات، ويزداد الطلب على العلماء والشعراء والمغنيين والجواري وأرباب الموسيقى فاتخذهم الأمراء والأعيان ندماء لهم، فكان كل خليفة ندماءه من العلماء والأدباء والمنجمين وممن يوردون النوادر والفكاهات ممن يعرفون كيف يوصونه في ساعات صفوة وساعات سخطه.

كما أسرفوا في الطعام وتفننوا في ألوانه فكان المكتفي يطلب من الشعراء أن يصفوا له بعض أنواعه، ويقولوا الشعر في الشراب ويتبادل مع ندمائه الطرف والفكاهات.

ومن الملاهي التي شاعت في تلك الفترة لعبة الشطرنج، " وكان من يحسنها تفتح له أبواب الخلفاء والوزراء والكبراء ، مثل أبو القاسم التو زري الشطرنجي ومحمد بن يحي الصولي، ويقال أن المكتفي استقدمه حين علم بإحسانه لعبة الشطرنج ، وجعله يلعب بين يديه مع لاعب آخر كان مشهورا بلعبه هو الماوردي ولكن الصولي قهره وغلبه "[2]، وهذا ابن الرومي يصف لعبة الشطرنج فيقول:

لو صادت البَقَّةُ فيلَ الزَّنْجِ وهملجَ البُرْغُوث تحت السَّرْج

وأصبح الهَفْتُ كَشَطْرِ البَنْج ما كُنَّ في الحَجِّ ولا في الدّج

أعجب من لِعْبِكَ بالشَّطْرَنْج [3]

[1]– ينظر: جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، مراجعة وتعليق :حسين مؤنس، دار الهلال، ط2 ،1928 م ص 94 . وشوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، ص 73 .

[2] - شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص 75 – 77 .

[3]– ابن الرومي : الديوان، ص 297 – 298 .

فهي لعبة تقتضي المهارة والذكاء، ورجاحة العقل وسرعة البديهة في التلاعب بأدواتها، لذلك أقبل عليها الخلفاء إقبالا شديدا وتفنن في وصف مجالسها الشعراء كما نجد أيضا لعبة النرد (الطاولة) ولعبة القمار وكسب الرهان وكثيرا ما كان الخلفاء

يتفرجون على نطاح الكباش والديكة وتواثب السباع والفيلة، كما كانوايخرجون للصيد والقنص" وكان من أشد الخلفاء شغفا به المعتضد وكان كالمعتصم في أكثر أموره ومأربه وأشبه به في سائر بيته وبنيه من الخلفاء في محبته لمباشرة الحرب والصيد وما أشبههما ولم يكن ينفك من حرب إلا صيد ولا من صيد إلا إلى حرب وكان يخرج لصيد الأسد فيخيم عليها حتى لايبقى منها باقية[1]، ومنه فقد تفنن الخلفاء في عيشهم وملاهيهم وتبارزوا وتنافسوا فيها .

وهذا ابن الرومي يمدح المعتضد حينما خرج لصيد الأسد يقول :

يا صائد الأُسْدِ إن صيْدكها ... لجَامعٌ خَلَّتَيْنِ من رَشَدِ

مَلذّة تُجتَنى ومنفعة ... للسالكين السبيلَ والقَعَدِ

وأي شيء أجلُّ منفعةً ... من أسدٍ قاسطٍ على أسدِ

وأي لصٍ أجلُّ مَرْزأة ... من مُتْلِفِ الروح مُتْلِف الجسد ؟[2]

كما ولعوا أيضا بسباق الخيل، فامتلأت ساحات دار السلام الواسعة بالمتفرجين من اجل الاستمتاع بمشادة استعراضات مباريات الفروسية، فكانت هذه الأيام أشبه بأيام العيد بهجة و سرورا، ومنه فقد تفنن الخلفاء في أساليب لعبهم و لهوهم و عبثهم كما تنافسوا و تبارزوا فيها.

[1]– ابو الفتح محمود الحسن الكاتب كشاجم : المصايد والمطارد، تح :محمد أسعد طلس، مطلعة دار المعرفة، بغداد، 1954 م، ص5.

[2] ابن الرومي، ج2، مرجع سابق، ص440.

3 – الرقيق والجواري والغناء

شهد العصر العباسي الثاني ازديادا واضحا في أعداد الرقيق والجواري فقد ، "كان الرقيق منتشرا في كل مكان في القصور والأكواخ وفي الصناعات وفي الزراعة ، وكان كثيرا كثرة مفرطة، فمنه السندي ومنه إفريقي ومنه الزنجي والحبشي والسوداني، ومنه التركي والصقلي، ومنه الصيني والخراساني والأرميني والبربري ، وكأنما كانت تجتمع زفيه كل الأجناس[1]"، ومنه فكثرة الرقيق والجواري كانت السمة البارزة في مجتمع العصر العباسي على اختلاف أجناسها وأدياتها وبلدانها .

وكانوا يباعون في سوق خاصة بهم، "وقد سمي تاجر الرقيق "نخاّسا "وكان في الأصل يطلق على بائع الدواب، واشتهر في ذلك العصر كثير من النخاسين في بغداد" [2]، وكان أهم ما يقومون به في المدن هو الخدمة ، أي خدمة أربابهم ، كما قاموا بأعمال الصناعة والحرث والزراعة وشتى الأعمال الشاقة.

أما الجواري فكانت في الدور القصور وتخللت مجالس الخلفاء، إذ أصبح الحديث عنهم يشغل مجالس السلطة الحاكمة، لاسيما الخلفاء الذين امتلأت كتب التاريخ بمغامراتهم مع الجواري، وترجع هذه الزيادة المفرطة في أعدادهن لأسباب عدة ، منها اتساع رقعة الدولة العباسية بسبب الفتوحات الإسلامية خاصة في العصر العباسي الأول، وكذا انتشار تجارة الرقيق انتشارا واسعا فضلا عن حالة الترف والرخاء التي عاشها العباسيون، فاقتنى الخلفاء أحسن الجواري من مختلف الجنسيات، فمنهن التركيات والفارسيات والروميات والعربيات، وكانت تصرف عليهن أموال طائلة مقابل شرائهن وامتلاكهن، "وقد كانت الجارية الجميلة تباع بألف دينار أو أكثر ، حتى ليروي أنه كان لدى المتوكل منهن أربعة ألاف جارية، وكان الناس يغدون ويروحون على دور الرقيق ودور النخاسين

[1]-شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ،ص 80 .

[2] -أحمد أمين : ضحى الإسلام، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية ،دط، دس، ص 86

يتفرجون على الوافدات ، الجديدات من الجواري الفاتنات " [1]، وكان كثيرات منهن مثقفات يفنون الآداب فكن سلين الباب الشباب والرجال والشعراء بجمالهن وعذوبة حديثهن بل كان منهن من يحسن نظم الشعر.

أما الغناء فلم يكن المجتمع العباسي يغنى بفن كما عني بالغناء والموسيقى، فقد انتشر الغناء في هذا العصر انتشارا عظيما، وعدّ حاجة من حاجات الإنسان الضرورية، فا ستحسنه الخلفاْء وافتنوا المغنيين والمغنيات، وعملوا على تحسين آلات الغناء وتغذيته بالألحان الأجنبية، فكان الخلفاء يغدقون عليهم بالأموال والعطايا، وازداد شغفهم به فاتجهوا إلى تعليمه للجواري للتمتع بغنائهن ومنظرهن معا، وكثيرات هن الجواري اللاتي برعن في الغناء وكان لهن في هذا الوجود المشبع بالموسيقى اثر في شيوع الطرف والرقة واللطف ، كما كان لهن أثر في إيحاء الشعراء بمعاني الشعر فنظم الشعراء فيهن قصائد تجتمع فيها العاطفة وبراعة التصوير، وهذا ابن الرومي يصف بعض المغنيات وأشهرهن (وحيد)، وهي جارية ابن الرومي وقد وصفها بشعره كأنه كلام الفلاسفة يقول :

وغرير بحسنها قال:صفها قلت: أمران هيّن وشديد

يسهل القول إنّها أحسن الأش ياء طرّا، ويعسر التحديد

شمس دجن كلا المنيرين من شم سّ وبدر من نورها يستفيد

تتجلى للناظرين إليها فشقيّ بحسنها

ضبية تسكن القلوب وترعا ها وقمرية لها تغريد

تتغنى كأنّها لا تغني من سكون الأوصال وهي

[1]–شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص 83 .

[2] ابن الرومي: الديوان ، ج2، ، ص440.

[3] –المصدر نفسه ، ج2 ،ص 493 .

هذا وقد ملئت كتب الأدب من شعر وقصص، مما كان بين الشعراء والأدباء وبين الجواري في ذلك العصر ، "والغناء يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها، ويشجع القلب ويسخي البخيل. "[1]ومنه فقد أبدعت الجواري والمغنيات في هذا الفن وبرعن فيه.

4- المجون والزندقة والشعوبية :

تغيرت البيئة الاجتماعية في الدولة العباسية، لما دخلها من عناصر مختلفة من فارسية وتركية ورومية وبربرية، وتمازج تلك العناصر مع اختلاف أخلاقها وعاداتها وتقاليدها. أدّى إلى ألانحطاط في الأخلاق، وتعاطي الناس المسكرات سرّا وعلنا وكثرت مجالس اللهو والمجون ومعاقرة الخمرة ومنادمتها، إذ ظل الناس يمعنون في شرب الخمر واحتساء كؤوسها وغبوقها وصبوحها، وعلى هذا النحو كانت قصور الخلافة في عصور كثيرة من الخلفاء وكأنها مقاصف للشراب والسماع والغناء وبالمثل كانت قصور الأمراء والوزراء وأصحاب كبار المناصب في الدولة وعلية القوم .[2]

فكانوا ا يعقدون لها المجالس في المساء ، والليل والصباح وكان يدور عليهم السقاة والساقيات من الجواري والغلمان فكانت تعج بهم، الحانات والمنتزهات والبساتين ودور المقينين، فدفعهم ذلك إلى الكثير من الفجور والمجون والزندقة، وقد كان للشعراء دور في إحياء هذا الجو الماجن، فقالوا الشعر في الجواري والقيان والغلمان ، وتغزلوا بهم كما عم كثير من الشعر الصريح الفاحش، كما نظموا قصائد في الخمر ووصف متاعها، وكانوا يعقدون مجالس المنادمة في قصور الخلفاء ويقولون الشعر في وصفها والتلذذ بطعمها وأثرها على نفوسهم .

وقد وصف ابن الرومي الخمر في كثير من أشعاره حيث يقول في الخمرة العذراء :

---

[1]– علي المسعود : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح : كما حسن مرعي، ج4 ،المكتبة العصرية، بيروت ،ط1 ،1425 هـ \ 2005 م، ص 177.

[2]– ينظر : شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ،ص 92 .

وقهـــوة رقـــت عـــن الهـــواء أدفـــع للـــداء مـــن الـــدواء

عـــذراء لاحـــت في يـــدي عـــذراء أحســـن مـــن تظـــاهر النعمـــاء[1]

ويقول في موضع أخر وقد شبهها بالروح التي لا يضارعها شيء ، ونراه هنا يصفها ويصف تأثيرها ولونها الأصفر في الزجاجة، والذي يشبه الشمس وكذلك هي مرد الروح لنديمها والترياق لسليمها وسقيمها . يقول :

روح النفـــــوس الصـــــهباء مـــــن دونهـــــا كالصـــــبح بـــــالألاء

فكأنهـــا مـــن فـــوق عـــش زجاجهـــا بلقـــيس تحلـــى في حلـــى حســـناء

وكأنهـــا في الكـــأس شمـــس قارنـــت بـــرج الهـــلال فهـــل بالأضـــواء

نظـــم الحبـــاب علـــى شـــقائق أرضـــها نثـــر اللآلـــئ مـــن نـــدى الأنـــواء

لم أدر هـــل أبـــدت حبابـــا زاهـــرا أو نـــور عكـــس كواكـــب الجـــوزاء ؟

تســـري كســـرى الـــروح في أعضـــائها أو كالصـــبي في الروضـــة الغنـــاء

وتعيـــد نشـــأتها المشـــيب إلى الصـــبا فكـــأن عيســـى جـــاء بالأحيـــاء .

تـــروي عـــن العصـــر القـــديم حـــديثها بتسلســـل والـــدور في النـــدماء[2]

هكذا تفنن الشعراء في وصف الخمر ولذتها ونشوتها ومجالس ندمائها، وخاصة مجالس الإنس التي كانت تعقد بين يدي الخلفاء والتي تعود عليهم بالعطايا والهبات.

[1] - ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 85 .

[2] - المصدر نفسه،ج2، ص 88.

والى جانب موجة اللهو والمجون ومجالس المنادمة، بدأت تظهر على الساحة حركة تشيعية بين الأعاجم، بإختلاف أجناسهم من فرس وترك، وعرب ، روم تعرف بالشعوبية، وقد ارتبطت هذه الحركة مع التقدم الزمني بحركة الزندقة ، فكلاهما يظهران الإيمان ويخفيان الإلحاد.[1]

وهي قائمة أساسا على الحط من شأن العرب بين الشعوب خاصة الفرس منهم، فالعرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم، وليس لهم أي ميزة، على حين أن لكل شعب ميزة يفتخر بها، والشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم .

"وقد بلغت هذه الحركة أوجها في القرن الثالث للهجري، وساعد على ذلك الخلفاء العباسيون، فتعصبوا الإسلام وحطّوا من قيمة العرب وشأنهم "[2] ، فقد أتت الشعوبية على كل شيء يخص العرب، من نسب عربي ولغة عربية ، وعادات عربية فأخذ الشعوبيون يعرضون هذا النقد . وذلك للتحليل والمغالطة، وهكذا على صوت الشعوبية في عصر الدولة العباسية وتفاخر الفرس على العرب، وسبوهم وعيروهم بالفقر والجدب وبداوة العيش والبعد عن الحضارة واختلقوا الأحاديث والقصص التي تصب في مصلحة تطلعاتهم وتوجهاتهم السياسية والفكرية.

وقد ظلت نيران الشعوبية، مستعرة لحين من الدهر، حتى " تصدى الجاحظ وابن قتيبة لهذه النزعة الآثمة وردّ عليها ردّا عنيفا، أما الجاحظ فقد عقد في كتابه "البيان والتبيين " بابا مطولا سماه "كتاب العصا " صور فيه طعن الشعوبية على العرب في خطاباتهم، أما ابن قتيبة فألف في الرد عليهم مبحثا سماه " كتاب العرب أو الرد على الشعوبية "[3]، وهذا تمكنوا من إخماد نيران فتنة الشعوبية، والقضاء على هذه النزعة الحمقاء.

[1]– ينظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام، ص 68 .

[2]–ينظر : المرجع نفسه، ص 69 .

[3]– شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني، ص 99 .

نستنتج من خلال هذين الرأين للجاحظ وابن قتيبة فعالية وجدارة كل منها في الحد من هذه الثورة الشعوبية فقد ساهما باللسان والقلم فجردا في ذلك الكتب القيمة لمواجهة لسعات هذه النزعة وكل واحد منهما لم ينتقص شأنا عن الأخر فقد تنافسا إلى حد بعيد في إبراز هيئته والانتصار للعرب على اختلاف أصليهما.

5- الزهد والتصوف

ظهرت في العصر العباسي تيارات فكرية كثيرة ، ونزعات عقلية لم تشهدها العصور السابقة له، وامتازت بالتجديد والتنوع في الساحة الفكرية ومن بين هذه النزعات نجد نزعة الزهد والتصوف والتي ارتبطت تحديدا بالفكر الإسلامي الديني ، وقد ظهرت كرد فعل على موجة الزندقة والموجون والتي بلغت أوجها في القرن الثالث الهجري، وكذلك انتشار الخمر والإباحة ومجالس اللهو والغناء، إضافة إلى ما كان يعيشه العامة من الناس في تلك الحقبة الزمنية من سوء الأوضاع الاقتصادية لأن الأموال كانت تغدق على طبقة معينة من الخاصة دون غيرها، أما الحياة العامة فكانت في أسوء أحوالها . وكذلك الامتزاج الثقافي الحاصل في العصر العباسي بين مختلف الأجناس ، وتلاقح هده الأجناس مع بعضها البعض ولّد حركة الشعوبية التي شككت بالدين الإسلامي وتعاليمه والتي أدت إلى ألإلحاد والفجور والزندقة، كل هذه العوامل أدت إلى ظهور حركة الزهد والتصوف والتي بدأت تتسع بوثقتها شيئا فشيئا مع مرور الزمن وبدأت تتضح معالمه أكثر .

وبغض النظر عن الإنحلال الأخلاقي الذي كان يشيع في الطبقات العليا والمترفة فقد كان المجتمع العباسي مجتمعا إسلاميا، حيث كانت الطبقة العامة فيه والمتوسطة تحافظ على تعاليم الدين الإسلامي، وتتمسك بفرائضه وسنته وشعائره ، ولم تكن تعرف الترف وما ينجر إليه من موجون وانحلال وفساد في الأخلاق ، وفي الوقت الذي كانت فيه الحانات والدور والبساتين مكتظة بالخمر والندماء والمغنيين والمغنيات والجواري والغلمان، كانت بعض المساجد مكتظة بالعباد والنساك، وكانوا أكثر من أهل الفساد من المجّان .[1]

[1]- ينظر : شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني، ص 105 .

والدي يظهر أن جانب الإيمان كان الأعم والأشهر في ذلك العصر فانصرفوا عن متاع الدنيا واقتدوا بزاهد الأمة الأول محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانفي كل مسجد حلقات لوعّاظ مختلفين لا يزالون يذكرون بالله واليوم الأخر والجنة والنعيم والنار والجحيم، وعاشوا عيشة كلها ورع وعبادة، وتقشف وانصراف عن متاع الحياة الدنيا، "ومن أشهر زهاد ذلك العصر إبراهيم بن إسحاق الحربي [1]"، الذي عرف بزهده المبالغ فيه إذ عرف عن كل متاع متاع الحياة وملذاتها وتفرد بنفسه للعبادة والنسك .

أما التصوف فقد أخذت بوثقته تتسع في هذا العصر وكانت مقدمته في "أواخر القرن الثاني الهجري عند إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي الذين أشاعوا مبدأ المعرفة ا لإلهية [2]"، وقد شاع بين المتصوفة ما كانوا يلبسونه من صوف تمييزا لهم عن أهل الرفه والتنعم، ثم شاع لبسه بين المتصوفة بعد ذلك تعبيرا وتمييزا لهم عن أنهم أهل التصوف والورع والعبادة.

وبعد دلك أخذت رقعة التصوف والزهد في ذلك العصر بالاتساع وعزف الناس عن ملذات الحياة الدنيا منتظرين ما عند الله من نعيم خالد لا يزول.

واشتهر كثير من الشعراء في ذلك المجال، وتأثروا بأبي العتاهية وأبي نواس وخاض كثير من الشعراء في ذلك الفن، وكانت دعوة الزهد تدعوا إلى الابتعاد عن الطمع وذّم الدنيا والهوى ومحاربة الأخلاق السيئة والفواحش، والتذكير بالجنة والنار والقبر وأهوال القيامة، والموت وسكراته والاستخفاف بالدنيا وإثبات زوالها وقد تأثر الشعر في ذلك بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الحكماء، كما تنوعت موضوعات الزهد فمنها ما تدور حول نكد الدنيا وشقائها والموت ونعيم الآخرة، ومنها ما تدور حول تصوير حياة الزاهدين والمتصوفين، وقد استطاع ابن الرومي أن يصف أحوال الزاهدين في شعره وبخاصة ابتهالاتهم إلى الله وندمهم على ما اقترفوه من أثام ومن دلك قوله في وصف زاهد :

[1]– شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، ص 106 .

[2]المرجع نفسه، ص106.

بـــــات يـــــدعوا الواحـــــد الصـــــمدا في ظـــــلام الليـــــل منفـــــردا

خـــــادم لم تبقـــــى في خدمتـــــه منـــــه لا روحـــــا ولا جســـــدا

قـــــل يـــــا منتهـــــي أملـــــي نجـــــني ممـــــا أخـــــاف غـــــدا

أنـــــا عبـــــد غـــــرني أملـــــي وكـــــأن المـــــوت قـــــد وردا

وخطيئـــــاتي الـــــتي ســـــلفت لســـــت أحصـــــي بهـــــا عـــــددا[1]

هكذا كانت الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي، تجمع بين المتناقضات، الغنى والفقر، الموجون والزندقة إلى جانب الزهد والتصوف وفيها يقول أحمد أمين : "والمدينة العباسية كانت ككل المدنيات مسجد وحانة، قارئ وزامر، متهجد يترقب الفجر ومصطبح في الحدائق، ساهر في تهجد وساهر في طرب، تخمة من غنى ومسكنة من إملاق، وشك في دين وإيمان في يقين[2]."

هذا هو العصر العباسي الثاني عصر الفوارق والمتناقضات .

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 502 – 503 .

[2] – أحمد أمين : ضحى الإسلام، ص 155 .

الفصل الأول

أولا: مفهوم الموت

1-لغة

2-اصطلاحا

ثانيا: هاجس الموت في الآداب والفلسفة والأساطير

1 – هاجس الموت في الآداب

2 – هاجس الموت في الفلسفة

3 – هاجس الموت في الأساطير .

أولا: مفهوم الموت:

إنّ الدراسات الحديثة تقتضي من أي باحث إذا ما أراد أن تكون دراسته قائمة على منهج علمي، فما عليه إلاّ الإنطلاق من المعاجم اللغوية، التي تعد بمثابة المصادر الرئيسية والمفاتيح الأولية التي نلج من خلالها إلى حقيقة المصطلحات في شتى حقول المعرفة، ومن هنا لا يمكننا استيعاب دلالة مصطلح "الموت " وفهمه فهما دقيقا إلا بالعودة إلى جدرها اللغوي الذي اتفق عليه معظم اللغويين العرب.

1-1- الموت لغة

جاء في لسان العرب : في مادة "موت " الموت خلق من خلق الله تعالى، والموت والموتان ضدّ الحياة، والموات بالضم : الموت، مات يموت موتا، ويمات وقيل الميت الذي مات، والموت السكون وكل من سكن فقد مات وهو على المثل، وماتت النار موتا :برد رمادها، ومات الرجل :همد، وماتت الريح :ركدت وسكنت، وماتت الخمر : سكن غليانها وقيل : الموت في كلام العرب يطلق على السكون، وعليه فالموت عند ابن منظور السكون والركود "[1]

أما في المعجم الوسيط فقد ورد مصطلح "الموت "بمعنى: مات الحي موتا:فارقته الحياة، والشيء: همد وسكن والنار:بردت، والطريق:انقطع سلوكه، والأرض مواتا: خلت من العمارة والسكان فهي موات.والموت ضد الحياة والممات الموت، والموات: ما لا حياة فيه ، والميت: الذي فارق الحياة والجمع أموات" [2]

أما إذا موالينا وجوهنا شطر المعجم المحيط، لنقف على مفهوم مصطلح الموت، فإننا نجد بأن هذا الأخير" بمعنى :يموت، تمويت : جعله يموت وأماته، وموّتت الدواب : كثر فيها الموت، الموت : زوال الحياة عن كل كائن حي.[3]

---

[1]- ابو الفضل جمال الدين بن منظور :لسان العرب ، مج4 ، ج14،دار صادر، بيروت ،ط1 ,200،م،(مادة موت)،ص 147 -148.

[2] - إبراهيم أغيس وآخرون : المعجم الوسيط ،ج2 ،مجمع اللغة العربية ،جمهورية مصر العربية ،ط2، 1392 هـ \ 1982م، مادة (موت)،"ص 890.

[3]- بطرس البستاني : محيط المحيط ،تح: محمد عثمان ،ج8،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان ، 1971 م ،مادة(موت) ،ص 891.

وعليه فالدلالة التي يحملها مصطلح الموت هي الركود والسكون والانقطاع والزوال، كما تدل أيضا على الذي فارق الحياة والذي لا حياة فيه ومنه فالموت خلاف الحياة وذهاب القوة .[1]

1-2: اصطلاحا

يعد الموت سرا من أسرار الحياة وفيه يقول الله تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [2]﴾. والموت ظاهرة حتمية على الأحياء، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يؤرقه الموت .وربما لا يقلقه شيء في حياته أكثر من كلمة الموت.

والموت هو: "صفة وجودية خلقت ضد الحياة، وبإصطلاح أهل الحق هي قمع هوى النفس، فمن مات عن هواه فقد حي بهداه[3] "فالموت هنا ظاهرة إنسانية، وجدت مع الحياة نفسها إذ يعد الموت نهاية طبيعية لكل موجود سواء كان إنسانا أو حيوانا ونباتا، وهناك أوجه عدة تتعدى هده المخلوقات الثلاث .

وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت فورد مرات عديدة وبأوجه مختلفة.

والموت خلق من خلق الله عزوجل يقول تعالى "﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾." [4]

فالله خلق الموت وقدّره أزلا متكررا، منذ بدأ الخليقة، فهو بيد الله تعالى وبأمره وقضائه،وهو كسائر خلقه ينطبق على جميع الكائنات الحية دون استثناء وهو غير مرتبط بزمان ولا بمكان، والإنسان لا يدري متى يموت ولا كيف يموت ومن ذلك قوله تعالى: "﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ "[5].

---

[1] إبراهيم أغيس وآخرون : المعجم الوسيط ،ج2 ,مجمع اللغة العربية ،جمهورية مصر العربية ،ط2،1392 هـ \ 1982م ،مادة (موت)،"ص 890.

[2] – سورة أل عمران الأية ، 185 .

[3] –علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تح: محمد صديق المشاوي ، دار الفضيلة ،القاهرة ، مصر ،دط ،2004 م،ص 199

[4] –سورة الملك الآية ،1-2

[5] –سورة لقمان الآية، 34.

ومن هنا يتضح لنا أن الموت قانون حتمي أزلي، وجد مع الحياة نفسها وهو زوال للحياة ومفارقة لها والمرء ملاقي حتفه مهما طال عمره وبعدا مستقره .

ثانيا : هاجس الموت في الأدب والفلسفة والأساطير .

1 – هاجس الموت في الأدب :

الشعر فكرة وتجربة إنسانية تنقل تجارب الشعراء في مواضع روحية إنسانية مجردة، فنجد شعر الموت في العصر الجاهلي يمثل موقف الشاعر إزاء المصير المحتوم فهو يتحدث عن أصعب مواجهة للكون وهو الموت،"والملاحظ أن مقدمة البكاء على الأطلال أو النسيب أو الشيب أو الشباب إنما هي إشارات إلى عملية الإحباط التي مني بها الشاعر في علاقته بالإنسانية، وهي تعبر أحيانا عن فاجعة الموت "[1]كما في معلقة امرئ ألقيس حين قال

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ[2]

ومنه فشعر الجاهليين لم يكن شعر مناسبة,وإنما كان يصدر عن فلسفة تمسهم في أنفسهم أو تمس أقرب الناس إليهم.

فقد أحس الجاهلي بهاجس الموت مثلما أحست به الشعوب من قبله، إلا أنّ إحساسه قد فاق غيره ووصل درجة العنف، ومرد ذلك إلى قسوة الحياة وخلل في النظام حيث المطر القليل والصراعات بين القبائل والمرعى والمشرب. والجاهلي مهدد بالموت وقصر حياته فإن حصل في موسم من المواسم على قوته فقد لا يحصل عليه في مواسم أخرى.[3]

---

[1] - نور الدين السد : الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص 53 .

[2] – امرئ القيس : الديوان ، تح : مصطفى الشافي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، 1423 هـ \ 2002 م ،ص 110 .

[3] ينظر : محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ،ج1 ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ص 419 – 420 .

وفي ذلك يقول **طرفة بن العبد** :

أرَى الْعَيْشَ كنزا ناقصا كلّ لَيْلَةٍ **وَمَا تَنْقُصِ الأيَّامُ وَالدّهرُ يَنْفَدِ**

لَعَمْرُكَ إنّ الموتَ مَا أَخْطأَ الْفَتى لكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ في اليَدِ[1]

وقد اعتبر شعراء الجاهلية الموت مظهرا طبيعيا وهو فناء الجسد والنفس معا، فالموت يرصد الإنسان دوما وهو قريب منه أينما كان ولا يعلم أحد متى يحين أجله بقول طرفة:

أرى الموتَ لا يُرعي على ذي قرابةٍ وإنْ كان في الدنْيا عزيزاً بمقعَد.[2]

وعليه فنظرة الجاهليين إلى الموت نظرة تؤمن بحتميته مهما تعددت معتقداتهم وآراءهم، لكن الثبات الرئيسي في أشعارهم هو الإيمان بالموت .

والإنسان مادام يحيا فالموت يلازمه في حله وترحاله ويطارده مهما طال عمره ومهما بعد مُستقرّه .

ولكن حينما ظهر الإسلام وأنار القلوب وهدى النفوس وأرشد العقول من المفاهيم التي كانت راسخة في أدهان الناس في عصر الجاهلية، كان نصرا ساحقا للإنسان المعذب على مصيره المجهول في كل مكان وزمان ،لذلك أضحى البحث عن فكرة الخلود شيء مختلفا عما هو عند الإنسان الجاهلي فالحياة الدنيا هي التي تبقيه مخلدّا في أخرته وهذا مقترن بأعماله فإن كانت خيرا يخلده الله في جنته، وإن كانت شرّا يخلده في النار.

وقد كشف قضية الحياة والموت ووضحها الله عزّوجل في مواطن كثيرة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى '﴿**كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)**﴾[3]

[1]– طرفة بن العبد : الديوان ، تح: محمد حسن ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2002 م، ص 26 .

[2] – المصدر نفسه ،ص 20 .

[3]– سورة أل عمران ، الآية 185 .

وهذا تأكيد واضح أن الحياة بنعيمها وترفها فانية، وكل إنسان مهما طال أمده، مآله الزوال .وقد كان للخنساء نظرة للحياة والموت بعد إسلامها، فانتقلت من حياة يملأها الثأر والجزع إلى حياة مطمئنة هادئة مؤمنة بقضاء الله والموت المحتوم . وذلك حينما تحول الموت من مقتل إلى استشهاد لقوله تعالى ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169**﴾[1]كما تغير مفهوم الثأر عند مجيء الإسلام وحل محله القصاص لقوله تعالى ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ179**﴾ [2]وهذا تغيرت نظرة الإنسان للحياة والموت وأصبح الإنسان يحيا لأخرته لا لدنياه، إذ أصبح لكل من الحياة والموت غاية في وجودهم فالحياة فانية والموت آت.[3]

وليس الأمر بعيدا عما هو عليه في العصر الأموي فقد كان للحياة والموت حضورا عند شعراء بني أمية وظل الشعر يطرح موضوعات الموت ويفيض بها، كشعر الخوارج الذي زخر بموضوع الموت، الذي اتسم بالنغمة الحزينة التي لاتبعت على اليأس، كما طغت عليها النظرة المعتقدية,فاقتبسوا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بما يخدم أشعارهم وكثر الحديث عن الجنة والنار ، وقد حفل الشعر السياسي في العصر الأموي بمثل هده الأغراض.

أما في العصر العباسي فقد أصبحت رقعة الحديث عن الموت تتسع شيئا فشيئا، فتأمل الشاعر العباسي الموت والحياة فجاءت أشعار الشعراء أكثر عمقا في تناول موضوع الموت، وذلك نظرا لإنتشار حياة اللهو والمجون والزندقة وأصبحت الخمريات ظاهرة مستقلة بذاتها,وتوافدت الثقافات اليونانية والفارسية وانتشرت الحروب والفتن مما دفع بالشعراء إلى التأمل في الموت تأملا عميقا في موضوعاتهم الشعرية، وتناولوا موضوعه بشكل أعمق وبتفكير اكبر .

من هنا يتبين لنا أن نظرة الإنسان الجاهلي تختلف كل الإختلاف عن نظرته بعد الإسلام، فلم يعد الموت هاجسا يؤرقه ويشغل تفكيره فالموت نهاية طبيعية لكل البشر، وما هو إلا بداية لحياة أخرى.

---

[1]– سورة أل عمران ،الآية 196 .

[2]– سورة البقرة ،الآية 179 .

[3] ينظر: حليف مي يوسف: الشعر النسائي في أدبنا القديم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس، ص97.

2- هاجس الموت في الفلسفة :

تعتبر قضية الموت في مقدمة القضايا الفلسفية التي أقلقت الإنسان عبر العصور إلى يومنا هذا فقد أثرت مشكلة الموت في نفسية الإنسان منذ فجر التاريخ، مما دفعه للبحث عما يفسرها و يخفف وقعها على نفسه.

وقد ارتبطت بداية التفكير الفلسفي حول حقيقة الموت عند الفلاسفة اليونان، ولما كان الموت الشغل الشاغل للإنسان القديم بحيث أثر في معتقداته و آراءه فقد قام المفكرون و الفلاسفة بالتأمل والتفكر في هذه المسألة، وقد كانت البداية مع سقراط ثم تلاه تلميذه أفلاطون فأرسطو الذي يعد أول من خطى خطوات رائدة في ذلك .

لقد رحب سقراط بفكرة الموت، و آمن بأنها تحرر النفس من سجن الجسد، وعودتها إلى عالم الحقائق و الخلود، فيرى أنّه ليس من الحكمة الخوف منه، فقد يكون الموت خيرا عظيما إذ يقول : " إن الموت قد يكون خيرا من الحياة ."[1] فالموت في نظره يسمح بتجنب ضروب العجز و البؤس، و يربط هذا الأخير بين محبة الحكمة و عدم الخوف من الموت، فالحكيم هو الذي يعرف مصير النفس و ما وعدت به من سعادة ، لهذا فهو يتمنى الموت و الفيلسوف تساوره الرغبة في الموت بسبب تعطشه الدائم للمعرفة و الحقيقة .

" وعندما شاءت الأقدار أن يقدم للمحاكمة و يحكم عليه بالإعدام نراه يرحب به لأنه مخلصه إلى عالم السعادة الأبدية ومكان النفس الأصلي، أما الأشرار فإنّ أرواحهم تسجن في أبدان أخرى لتنال عقابها وتبقى تتحول من جسد لأخر ما لم تكفر عن خطاياها التي اقترفتها ." [2]

من خلال هذا التصور يتبين لنا نظرة سقراط للموت، فهو مؤمن بحياة ما بعد الموت و الخلود حسب رأيه يكون لنفوس الخيرة الطيبة، أما الشريرة منها فتنال عقابها لتكفر عن ذنوبها التي اقترفتها .

أما عند أفلاطون فقد استمر هاجس الموت عنده ،مؤمنا في هذا الموضوع باعتقادات أستاذه سقراط على الرغم من خلافاته وإضافاته للكثير من الآراء الفلسفية الأخرى، فوافق في خلود الروح وساق لنا أسطورة " آر" الذي

---

[1]- جاك شورون : الموت في الفكر الغربي ، تح : كامل يوسف حسين ، دار المعرفة ،الكويت ،1984 م ،ص 47 .

[2]– أبو نصر محمد الفارابي : أراء أهل ألمدينة الفاضلة و مضاداتها ، مكتبة الهلال ، بيروت ،ط1 ،1995 م ، ص 14 .

أعيدت له روحه بعد مفارقتها لجسده يقول :" إن الموت انعتاق النفس من الجسم "[1],وأمر بأن يخبر الناس بهذه القصة ليتعظوا بها، فرأى أنّ النفوس تبقى خالدة وتُبعث للحساب والجزاء، أما النفوس الخيرة فتذهب إلى عالم مليء بالسرور والهناء، أما حياة الأشرار فهي مليئة بالآلام والعذاب.[2]

وعليه فنظرة أفلاطون لا تختلف عن نظرة سقراط في خلود النفس وبقائها ووجود حياة أخرى بعيدة كليا عن الحياة الدنيا التي نعيشها، لذلك بثَّ أفلاطون روح الشجاعة في نفوس الشباب ورأى أنّه من الضروري تحرير الشباب من مخاوف الموت إذ لا يمكن لأحد أن يكون شجاعا مادامت مخاوفه مستولية عليه .

أما عند أرسطو فقد رأى أن الإنسان مكون من جسم ونفس وهما جزءان لجوهر واحد ويكونان متحدين، فالنفس عنده ليست جوهرا مستقلا كما كانت عند أستاذه أفلاطون، وهو بموقفه هذا عن النفس يقر أن لا وجود للنفس بعد مفارقتها الجسد فلا خلود لها، ولكن هناك أراء له تبين بخلود النفوس الجزئية، ومنها اعتقاده بإحساس الموتى وتأثرهم بما يصيب معارفهم من أقارب وأصدقاء في الحياة من خير أو شر[3].

كما حلّلَ أرسطو الخوف من الموت ضمن تحليله لفضيلة الشجاعة التي هي وسط بين الخوف والتهور فمن الشجاعة عدم الخوف من الموت لأجل الأمور العظيمة كالموت في الحرب فهي أعظم تضحية أوجدها، وهذا ما يؤكد مذهبه بفناء النفس بعد انفصالها عن البدن، وعليه ففكرة الموت عند هؤلاء الفلاسفة ما هي إلا نتاج تصوراتهم وأرائهم ومعتقداتهم التي يؤمنون بها وهذه الآراء والأفكار والتصورات، ليست ملزمة لأحد إنما تعبر عن تصور ورأي الفيلسوف نفسه وطبيعة فهمه للموت .

أما عند الفلاسفة المسلمين فقد كانت معالجة موضوع الموت ومصير الإنسان بعده أمرا طبيعيا، كونه موضوع ليس جوهر الوجود الإنساني، وبشكل أكبر هواجسه ومخاوفه وهمومه فضلا عن أنَّ هؤلاء الفلاسفة كانوا يعيشون في

---

[1]– جاك شورون : الموت في الفكر الغربي ، ص 52 .

[2]– قاسم محمود : النفس والعقل عند الفلاسفة الأغريق والإسلام ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ،مصر ،1956 م ،ص 74 .

[3] – ينظر : ابراهيم رجب عبد الله : الموت والخوف منه عند الفلاسفة الإغريق والإسلام ، مجلة جامعة الأنبار ، العدد4 ،2009 م ، ص 521 .

مجتمع إسلامي يقرّ بوجود حياة أخرى بعد الموت فالإيمان باليوم الأخر يعد من بين أركان الإيمان في ديننا الحنيف ومن هؤلاء الفلاسفة نذكر :

.**الكندي 252هـ**: تناول الكندي موضوع الموت بعد أن بين أن النفس جوهر روحاني لا جسماني ويستدل على جوهريتها ببرهان الخلق إذ لو كانت عرضا لما فسد الجسد عند مفارقتها له، وفي مواضع كثيرة من مؤلفاته يذكر خلود الروح على أنها حقيقة ويعرض أراء بعض الفلاسفة اليونان ويستشهد بهم ليؤكد مذهبه في خلود النفس بعد الموت، ويؤمن الكندي بأن النفس إذا فارقت البدن علمت كل ما في العالم ولم يخف عنها شيء، كما يقول الكندي إنما نأتي لهذا العالم كعابري سبيل ولا يطول لنا المقام هنا، وإنما مقامنا ومستقرنا هو العالم الأعلى الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت كما دعى إلى عدم الخوف من الموت وذلك لأنه طبع على الإنسان وقدر له [1].

أبو بكر الرازي 313هـ: عالج مشكلة الخوف من الموت، وهو مؤمن بفكرة خلود النفس بعد مفارقتها للجسد وهي دائما ما تشتاق إلى الملذات الجسمانية ولكن هناك أيضا من يرشدها للتخلص من الجسد وهو العقل فتعود لمعرفة عالمها العلوي، فبالعقل والتعالي عن الملذات يمكن الرجوع إلى العالم العلوي أما الغفلة فإنها تبقي النفس في هذا العالم . وبحديثه عن مسألة الخوف من الموت فهو يقر بأنه عارض لا يمكن دفعه عن النفس دفاعا تاما إلى أن تقتنع بأنها تصير بعد الموت إلى ما هو أصح لها فالموت حقيقة واقعة لابدَّ منها، ثم ينصح الرازي ألا يخاف الإنسان الخير الفاضل من الموت فالشريعة الإسلامية السماء قد وعدته النعيم الدائم[2] .

مسكويه 421 هـ: لقد عالج هذا الأخير مسألة الخوف من الموت بشكل مقرب مما عالجه الرازي فيذكر أن الخوف من الموت هو الجهل ببقاء النفس عندما تتخلص من الجسد وإنها تتشرف بهذا الخلاص فتعود إلى عالمها القدسي وتبقى في عالم أرقى مما كانت فيه، كما يقول أن الخوف من الموت سببه الظن أن الموت الم عظيم مع أن

[1] – ينظر : ابراهيم رجب عبد الله، المرجع السابق ،ص 531 .

[2] – المرجع نفسه، ص 533 .

الموت لا ألم له لأنه مفارقة النفس البدن والجسم لا يحس بهذه المفارقة، ويرى أنّه لا مبرر لخوف الإنسان من العقاب الأخروي على ذنوبه التي اقترفها وهو بنظره سبب واهٍ ووهم كاذب وذلك نتيجة الجهل بالفضيلة والحكمة والشريعة.[1] وعليه فرغم اختلاف أراء هؤلاء الفلاسفة وتباعد وجهات نظرهم حول الموت والخوف منه، ومصير الإنسان بعده إلّا أنّهم قد اشتركوا في أنّ الموت حقيقة حتمية لا مفر منها والإيمان بها جزءٌ من تعاليم الذين الإسلامي .

3- هاجس الموت في الأساطير :

نشأت الأسطورة في المجتمعات البدائية، حيث شكلت أرضا خصبة لنموها. وأساطير كل أمة جزء من تراثها الثقافي الذي يشكل شخصيتها والأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، وقد تقبلت العقلية العربية الكثير من الأساطير التي نقلت إليها من الأمم المجاورة فشحنت الكتب التاريخ بأساطير ملفقة عن نشأة العالم وأخبار الأمم البائدة، وحكايات الشعوب . ولعل اكبر حقبة واجهها الإنسان عبر مختلف العصور تكمن في فهم الموت وتحديد ماهيته مما أنتج أساطير عدة، أودعها تساؤلاته ورغباته في قهر الموت والخلود في الدنيا فنسج الأساطير المختلفة ولجأ إلى الرقي والتمائم لإبعاد شبح الموت واستطاع في الأخير أن يرسخ القناعة بحقيقة استحالة الخلود وان الموت حقيقة لا مهرب منها .

ومن الأساطير التي تؤكد صراع الإنسان مع الموت هي أسطورة جلجامش السومرية التي دونت ثلاثة ألاف سنة قبل الميلاد وتروي قصة الملك البطل جلجامش، الذي سعى بكل ما يلتهب في داخله من رغبة في الخلود لتحقيق حياة أبدية، فعاد من رحلته إلى المجهول وقد خابت أماله وأشرقت شمس الحقيقة التي لم يستطع نقضها وهي أن

[1] - ينظر : ابراهيم رجب عبد الله، المرجع السابق، ص536-537.

الإنسان ولد ليموت، لكن الإنسان في صراعه مع الموت أبى أن يستسلم للهزيمة، الأمر الذي دفعه إلى إبداع عالم أسطوري يتغلب فيه على الموت .[1]

فنجدها تؤكد حتمية الموت وتثبت عجز الإنسان عن تحقيق الخلود,ومما ورد في الملحمة :

إنه أنكيدوا صاحبي وخلي الذي أحببته حبا جما

لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعا

فبكيته في المساء وفي النهار

ندبته ستة أيام وسبع ليال

معللا نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي.

امتنعت عن تسليمه للقبر

أبقيته ستة أيام وسبع ليالي، حتى تجمع الدود في وجهه

فأفزعني الموت، حتى هممت على وجهي في الصحاري

إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي

آه !لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابا

وأنه أضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين

فيا صاحبة الحانة, وأنا انظر إلى وجهك.

أيكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه.[2]

فجلجامش الذي سعى إلى الخلود وأفنى حياته في البحث عنه، أدرك أن لا سبيل إليه، ذلك الصراع الأزلي بين الموت والحياة المقدرين، وبين إرادة الإنسان المغلوبة والمقهورة في محاولتها للتشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء

[1]- ينظر : ريثا عوض : أسطورة الموت والانبعاث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1978 م ،ص 39

[2]- طه باقر : ملحمة كالكامش أوديسة العراق الخالدة ، وزارة الإعلام ، بغداد ، دط ، 1975 م ،ص 11 .

وسيلة للخلود فهي تعلمنا أن نواجه الحقيقة. إنها إذن قصة رجل أحب صديقه، وفقده بالموت ثم أدرك إن لا قوة لإعادته للحياة وان مصير صديقه أنكيدو هو مصير كل البشرية .

كما نجده هاجس الموت عند الفراعنة المصريين، حيث تقف الأهرامات المصرية دليلا على امتلاك المصريين القدامى لتصورات واضحة ومتطورة حول الموت، فاعتنوا اعتناء بالغا بمصير موتاهم، فصنعوا توابيث ونقشوها وحنطوا موتاهم وبنو القبور استعدادا لأن تنقل روح المتوفى إلى عالم أخر مجهول، وهدا التصور يقوم أساسا على محاولتهم فهم حقيقة الموت، وهذه الحقيقة الإنسانية الوحيدة التي يلفها الغموض والإبهام .

أما الإنسان العربي القديم فقد واجه الكون بكل ما يحمله من ظواهر غريبة, كما واجه ظاهرة الموت فنسج عنها الأساطير والخرافات وأمن بها في محاولة منه لفهم هذه الظاهرة وإيجاد تفسير لها.

ومن بين هذه الأساطير الرتيمة، وهي ناقة كانت العرب إذا مات واحد منهم علقوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت، وهم يزعمون بذلك أنه إذا بعث عن قبره ركبها، أما الهامة فهي طائر كان العرب يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يأخذ بثأره، يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة، فلا يزال يصيح أسقوني أسقوني إلى أن يأخذ بثأره وهذا دليل على تصور الإنسان الجاهلي بحياة ما بعد الموت رغم الغموض والإبهام الذي يلفه،[1] ولكن بمجيء الإسلام تغيرت نظرة الإنسان العربي للموت وأضحى موضوعه أمرا طبيعيا، ولم يعد يشكل هاجسا له، فتعاليم الدين الإسلامي تقر بوجود حياة أخرى بعد الموت مختلفة عن الحياة الدنيا .

[1]- ينظر: شهاب الدين محمد بن أ حمد الإشبيهي : المستطرف من كل فن مستظرف ، تح : درويش الحويدي ، المكتبة العصرية ،بيروت ،لبنان ، 1999 م ، 142 -143 .

الفصل الثاني: أثر الموت وتجلياته في شعر ابن الرومي

أولا: تجليات الموت في ديوان ابن الرومي من خلال الأغراض .

1- مفهوم الرثاء
2- **ألوان الرثاء**
3- **موضوعات الرثاء**

ثانيا: ملامح الموت في شعر ابن الرومي

1- **البكاء والنحب**
2- **الحزن والألم**
3- الرضا والتسليم
4- **الموت والفقد**

ثالثا: معجم الموت في ديوان ابن الرومي

1- حصر المتقاربات مع بعضها

أولا: تجليات الموت في ديوان ابن الرومي من خلال الأغراض

لاشك أن الأدب الحقيقي هو الأدب الصادر من داخل التجربة، فيكون لسان النفوس وترجمانا لما تحمله من عواطف ومشاعر، ولعل أقرب الموضوعات إلى ذلك ،هي تلك التي تتناول الذّات البشرية بتقلباتها وأحوالها ،وفعل الزمن فيها وضمن هذا السياق يبرز غرض الرثاء عموما . الذي يعبّر في معناه العام عن الموت، فيولد مشاعر الأسى والحزن لفقد الأحبة والأصدقاء وقد تعرّض ابن الرومي على مدار حياته لفجائع مريرة وخطوب جسيمة،قال فيها قصائد شجية، فقد " وقف ابن الرومي أمام الموت مرات عديدة، رأى فيها بوجهه الكالح القاسي وشعر بوطأته الثقيلة التي لا تقاوم، حيث وجد نفسه أمام معادلة الحياة والموت الصعبة " .[1]

وقد شهدت حياته كثيرا من المآسي والكوارث والنكبات، التي توالت عليه غير مانحة إياه فرصة للتفاؤل والتي تركت أثارها على قصائده، ونلمس سمات الحزن والكمد عند ابن الرومي من خلال قصائده التي رثى فيها أفراد أسرته،الذين تخطفهم الموت واحدًا واحدًا وفرط بذلك عقد عائلته ولعل هذه الأحداث كان لها الأثر السيئ والكبير على طبعه ونفسيته وأخلاقه، فمال إلى التشاؤم والإنغلاق وأصبحت حياته مضطربة، يتوقع السوء دائما فقام الناس بالإبتعاد عنه واضطهاده.

[1] – ركان صفدي : ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 94 .

1 : الرثاء

1_ 1مفهوم الرثاء:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور تعريف الرثاء كالأتي:

"رثى فلان فلانا: يرثيه رثيا ومرثية، إذا بكاه بعد موته ،قال : فإن مدحه بعد موته قيل رثاه : يرثيه ترثية ،ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثية ورثية مدحته بعد موته وبكيته ،ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه وكذا إذا نظمت فيه شعرا. [1]

وعليه فالرثاء هنا هو البكاء على الميت وتعداد محاسنه، فمن تم مدحه بعد موته قيل ورثاه، والمرثاة والمرثية،ما يرثى به الميت من الشعر .

إصطلاحا:

الرثاء من الفنون الشعرية الأكثر التصاقا بالوجدان وهو ذو قيمة في الشعر العربي وهذا لما تحمله من صدق في العاطفة وعمق في التعبير ،وهو: " بكاء الميت و التفجع عليه والتمجيد لخصاله بوصفه ويمثل جانبا من المدح، والممدوح فيه هو الميت نفسه، وسبيله أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام".[2]

فالرثاء هو ذكر الميت و التفجع عليه وتعداد محاسنه ومناقبه وخصاله الحميدة ووصف الحالة بعد فقدانه وما يملأ القلب من حسرة وألم، وما الرثاء إلاّ مدح في قالب فجائعي . والرثاء أحد أغراض الشعر العربي يعبر فيه الشاعر

[1] – ابن منظور :لسان العرب ، مج3، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997 م، ص 35 .

[2] – سامي يوسف أبو زيد : ابن الرومي قراءة نقدية في شعره، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن ،دط، 2015 م، ص 235 .

عن مشاعر الحزن واللوعة التي تنتابه لغياب عزيز فجع بفقده،فيكون مرهف الإحساس، صادق المشاعر فيذكر محاسن الراحل ومكارمه .

فالرثاء وعلى مرّ العصور لا يقل شأنا عن المدح والهجاء ،والغزل وسائر ألوان الشعر، فليس في العالم أمة لم تعرف الرثاء، كما أنه ليس فيه أمة لم تعرف الموت، فالرثاء وجد عند كل الأمم والشعوب، سواء كانت بادية أو كانت راقية أو متحضرة وهو مقترن بالموت . [1]

2- ألوان الرثاء:

عرف الرثاء منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث،مخلفا بذلك ثروة شعرية عظيمة، على مرّ العصور التاريخية،إذ يصنف على أنه أحد فنون الشعر العربي وأكثرها صدقا وعمقا في التعبير .

وقد طرق هذا اللون الحزين من الشعر المأساة والكآبة العديد من الشعراء، على اختلاف أزمانهم، وقد كان لنشوء هذا الفن الشعري ألوان مختلفة تنوعت بين ندب وتأبين وعزاء.

أ –الندب:

الندب هو أحد ألوان الرثاء القديمة، إذ يعرف على أنه : "النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحزنة، التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، إذ يولون النائحون والباكون ويصيحون ويعولون،مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع . " [2]

فالندب البكاء والعويل، المصحوب بالحزن الشديد على الفقيد باستخدام الألفاظ الدالة على ذلك .

ومن أبرز صور الندب نجد: ندب الأهل والأقارب وهو من أقدم صور الندب والنواح في شعرنا العربي ،

[1] – ينظر :شوقي ضيف :الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دس، ص 9 .
[2] – المرجع نفسه ، ص 12 .

كما نجد ندب البلدان فقد بكى الشعراء بلدانهم حين نزلت بها الحوادث والكوارث.

ب – التأبين

يعد التأبين نوع من التكريم والأصل فيه، الثناء على الشخص حيّا أو ميّتا.ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط، ويكون التأبين بتعداد خصال الميت الحميدة ، وذكر مناقبه وهو أدنى إلى الثناء ,والشاعر فيه لا يعبر عن حزنه فقط بل يعبر عن حزن الجماعة، وما فقدته في الميت من كريم الخصال وجميل الشمائل وهو يحمل الحس المرهف والعاطفة الجياشة في التعبير ،فيذكر أيامه ويعدد فضائله ومحاسنه[1]

ج –العزاء

الأصل في العزاء الصبر، ثم اقتصر استعماله في الصبر على كارثة الموت وأن يرضى الإنسان الذي يفقد عزيزا بما فاجأه به القدر، فهي سنة الله في الكون والمراد بالعزاء التفكير في رحلة الحياة ومصير الإنسان وحتمية الصبر والسلوان بما أنزل من البلاء، والخضوع لإرادة الله ويكون العزاء بالتقدم لأهل الفقيد والإعراب لهم عن الحزن والأسف الشديد لما حلّ بهم، ولإبن الرومي في هذا الغرض قصائد عديدة كقصيدته التي عزّى فيها عبيد الله بن عبد الله حينما توفيت والدته يقول في " الأم الراحلة " :

عــزاؤك أن الــدّهر ذو فجعــات وكــل جميــع صــائر لشــتات

لــك الخــير كــم أبصــرته وسمعتــه قــرائن حــيّ غــير مختلجــات

هــل النــاس إلا معشــر مــن ســلالة تعــود رفاتــا ثم أي رفــات

عليــك بتقــوى الله والصــبر إنــه معــاذ إن الــدهر دو ســطوات[2]

[1] _ ينظر : شوقي ضيف ، ص 54 .

[2] – ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 261 .

وقد كان لهذا اللون الشعري الجميل أثر إيجابي في بث روح التفاؤل والتخفيف من وطأة الحزن، كما أنه يدعو إلى ألتحلي للصبر والجلد والتأمل في الدنيا فهي دار زوال وانتقال وليست دار بقاء واستمرار.

3- موضوعات الرثاء

يعتبر ابن الرومي أحد نوابغ الشعر في العصر العباسي ،فهو من الشعراء الذين ينظرون إلى الحياة بأعينهم ويتناولون المعاني على طريقتهم، وقد أبدع ابن الرومي في قرض الشعر بإختلاف أغراضه، ولعل أكثر غرض أبدع فيه هذا الأخير هو الرثاء، وذلك لما حل به من فجائع في فقده لأعزائه، فقد اختلف مواضيع الرثاء عنده وألوانه من رثاء للأهل والأقارب ،ورثاء للوزراء والقادة ،ورثاء للمدن وأخيرا رثاء للجواري، فقد رثى ابن الرومي ابنه البكر بمرثيتين، الذي مات وهو صغير لم يبلغ سن الرشد كما رثى ابنه الأوسط بذاليته المشهورة ورثى زوجته في ثلاث قصائد قصيرة، وله مرثية طويلة في أمه التي جزع على فراقها وأخرى لأخاه محمد . كما رثى خاله وخالته بمرثيتين.[1]

ولعل أكثر قصيدة اشتهر بها هي قصيدته " طواه الردى " التي رثى فيها ابنه الأوسط ،الذي اختطفه الموت بعد صراع مع المرض فامتلأت نفسه بالحزن، ودمعت عينه فأبدع بكلمات باكية ومؤثرة، معبرا عن أحزانه التي لا تنتهي يقول في ذاليته :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي

بني الذي أهدته كفاي للثرى فيا عزة الهدى ويا حسرة المهدي

توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف أختار واسطة العقد[2]

كما اشتهر ابن الرومي بلون أخر من المراثي، هو رثاء الحكام والولاة والوزراء حيث رثى في قصيدة له أن الحسين إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، أشاد فيها بجوده وقوة حجته يقول :

[1] – ينظر :سامي يوسف أبو زيد : ابن الرومي قراءة نقدية في شعره، ص 236، 237 .

[2] – ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 400 .

كـــــل نفـــــس لموقـــــت لـــــيس حـــــي بمفلـــــت

مـــــات إســـــحاق فأســـــتمع نعيـــــهُ ثم أخبـــــث

مـــــات إســـــحاق فاســـــتمع لثنـــــاه وأنصـــــت

مـــــات مـــــن راح واغتـــــدى نكـــــره غـــــير ميـــــت

مـــــات مـــــن كـــــان للحقـــــا ئـــــق عـــــين المثبـــــت[1]

كما رثى إسحاق بن عبد الملك وكان يوده ويعطف عليه فرثاه بقصيدة عنوانها: "كيف عزائي " يقول:

يـــا يـــوم إســـحاق بـــن عبـــد الملـــك لم تبـــق لي صـــبرا ولم تـــترك.

يـــا يـــوم إســـحاق الـــذي غـــا لـــه أيّ حـــريم لي لم تنتهـــك.

مـــن ذا الـــذي لم يبكـــه فقـــده مـــن حـــدث غـــر، ومـــن محنتـــك.

كيـــف عزائـــي في فـــتى لا يـــرى شـــبيهه في أي فـــجّ ســـلك ؟[2]

ومن المواضيع أيضا التي نظم فيها ابن الرومي هي " رثاء الجواري " كقصيدته في رثاء المغنية بستان ،والتي تعد من أطرف قصائد الرثاء في الشعر العربي فموضوعها ليس رثاءا تقليديا مع أنها احتوت على عناصر الرثاء القديم، وذكر الخصال الحميدة للفقيدة، إذ تعد أطول قصيدة رثاء عنده إذ تبلغ خمسة وستين ومائة بيت [3]حيث بدأ بالحديث عن الدهر وصروفه ثم رثاها وتغزل بها ورثى أيضا الفن والفرح اللذين كانت تخلديهما ثم ختم قصيدته بوصف حزنه وبكاءه عليهما وهذه القصيدة بأكملها تحفة فنية أبدع في نظمها الشاعر يقول في" شمس الشموس":

[1] – ابن الرومي : الديوان ،ج 1 ، ص 260 .

[2] – المصدر نفسه ،ج 3 ، ص 21 .

[3] – ينظر : ركان صفدي : ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 100 .

يـــا هـــل مـــن الحادثـــات مـــن وزر للخـــائف المســـتجير أم عصـــر.

كـــم مـــن قتيـــل لصـــرفه لطفـــا وكـــم دم في ثيابـــه دهـــر.

فجعـــني صـــرفه لمؤنســـة تبعـــث ميـــت النشـــاط والأشـــر .

تمتـــع الحـــدث مـــن ملاعبـــة تنـــزل بـــين الموجـــون والحصـــر.

وتتقطع نفسه ألما على فراق بستان فيبكيها بحرارة وينحسر على فقدانها فيقول :

بســـتان :يـــا حســـرتا علـــى زهـــر فيـــك مـــن اللهـــو بـــل علـــى ثمـــر

بســـتان: أضـــحى الفـــؤاد في ولـــه يـــا نزهـــة الســـمع منـــه والبصـــر

يـــا غصـــة الســـن يـــا صـــغيرتها أمســـيت إحـــدى المصـــائب الكـــبر

ومن المواضيع التي كتب فيها ابن الرومي رثاء المدن، هذا اللون الجديد الذي حضي باهتمام الشعراء فقد رثى ابن الرومي مدينته " البصرة " بعد خرابها على يد الزنج ،الذين اقتحموها وأنزلوا بها الحرق والنهب وفتكوا بأهلها وكان ذلك في عهد الخليفة المعتمد، إذ هدموا دورها العامرة، وقصورها الشامخة فأثر ذلك في نفس ابن الرومي تأثيرا بليغا، فنظم قصيدته في بكاء البصرة وأهلها [1]فيقول :

ذاد عـــن مقلـــتي لذيـــذ المنـــام شـــغلها عنـــه بالـــدموع الســـجام

أي نـــوم مـــن بعـــد مـــا حـــل بالبصـــ رة مـــن تكلـــم الهنـــات العظـــام ؟

أي نـــوم مـــن بعـــد مـــا انتهـــك الـــزن ج جهـــارا محـــارم الإســـلام .

أقـــدم الخـــائن اللعـــين عليهـــا وعلـــى الله أيمـــا إقـــدام.

[1] – ينظر : عز الدين إسماعيل : الرؤية والفن في الأدب العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،دط، 1975 م، ص 276 .

لهـــن نفســـي عليـــك أيتهـــا البصـــ رة لهفـــا كمثـــل لهـــب الضـــرام[1]

هكذا عبر ابن الرومي عن ألمه وحرقته على مدينته البصرة فبكى على رسومها وأطلالها، ومساجدها كما صور لنا فيها الأفعال الدنيئة التي قام بها الزنج من قتل وتخريب وتعذيب وتشريد .

هكذا كان ابن الرومي مبدعا في شعره، فريد النظم يهتم بالتفاصيل و يغوص على المعاني النادرة ،واستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة.

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج3، ص 238، 239 .

ثانيا: ملامح الموت في شعر ابن الرومي

لقد عانى ابن الرومي في حياته شتى ضروب الحزن والألم، وتجرع مرارة الفقدان مرات عديدة في حياته، فجاءت أشعاره انعكاسا لما مرّ به من كثرة الآلام والفجائع .

1- البكاء والندب :

يعتبر البكاء أكبر معبر عن الحزن وأبلغه، وهو استجابة لظروف **وأحداث معينة** وعادة ما تكون نتاجا لشعور بالحزن والألم أو الضعف وهو يحمل جميع معاني الحرقة واللوعة ،وقد بث ابن الرومي بمشاعره المرهفة والتهاب خاطره في شعره حين فجع بفقدان أعز أهله، وفي العديد من مراثيه نلمس سمات البكاء كما في رثاء أمه حين خاطب عينيه بعدم التوقف عن سكب الدم بدل الدموع وألاّ يستريح من البكاء إلى النوم يقول :

أفيضـــا دمـــا إن الرزايـــا لهـــا قـــيم فلـــيس كثـــيرا أن تجـــود لهـــا بـــدم

ولا تســـرحا مـــن بكـــاء إلى كـــرى فـــلا حمـــد مـــا لم تســـعداني علـــى الســـأم[1]

كما بكى على فراق زوجته وذرف لها الدموع وقال فيها :

عيـــني جـــودا علـــى حبيبكمـــا بالســـجل فســـجل مـــن صـــبيبكما

ولا تحمـــــدا لات حـــــين معـــــذرة مـــــا لم تـــــدوبا لمســـــتريبكما

هـــــذا فـــــؤادي والـــــرزء رزءكمـــــا تبكـــــي لـــــه عـــــين مســـــتثيبكما

فاســـتنكفا أن يكـــون غيركمـــا أبكـــى لمـــا فـــات مـــن نصـــيبكما[2]

[1] – ابن الرومي : الديوان :ج3 ،ص 288 .

[2] –المصدر نفسه ،ج 3 ،ص233.

أما قصيدة في رثاء ابنه الأوسط" محمد " وهي "من أعلى مراثيه ،ومن فرائد الشعر العربي التي تصور فاجعة والد بوالد "[1]كشف فيها عن أحزانه وهمومه وهو يعلم أن البكاء لا ينفع ولن يعيد له ولده لكنه ضروري وهو يخفف وطأة الحزن عليه بقول

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظيركما عندي[2]

ويأتي أثر موت ابنه على نفسيته، فالموت زرع الحزن والأسى بداخله فخاطب عينيه وقال :

سأسقيك ماء العين ما أسعدت به وإن كانت السقيا من العين لا تجدي

أعيني جودا فقد جدت للثرى بأنفس مما تسألان من الرفد

أعيني إن تسعدان ألمكما وإن تسعدان اليوم تستوجبا حمدي

عذرتكما لو تشغلان عن البكا بنوم، وما نوم الشجي أخ الجهد ؟ ![3]

ولم يكتفي القدر بهذه الطعنة النجلاء فأعادها في ابنه " هبة الله "،فنقش موته غصة وحرقة بقلبه فقدم له دموعه كلها وأعطاها قيمة عظيمة فيقول :

يا عادلي في مثل نائبتي تلفى دموع العين تمتهن .

فدع الملام فإني رجل عدل على العبرات مؤتمن.

أنفقت دمعي في مواضعه ألا الوكس يلحقني ولا الغبن

أبكاني أبني إذ فجعت به لم تبكي الأطلال والدمن[4]

[1] – يوسف مارون : ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني، دراسة نقدية في مراثيه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1988 م، ص 115 .

[2] – ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 400 .

[3] – المصدر نفسه ، ج1، ص 401 .

[4] –ا لمصدر نفسه ،ج 3، ص 434 .

فدموعه الغالية أنفقها على ابنه وقرة عينه، حين فجع بفقده ولم ينفقها على الأطلال والدمن.

والبكاء عنده يشفي من الأسى وهو كالدواء، وهو سبيل البقاء والاستمرار في الحياة وهذا ما نراه حين رثى زوجته فقال :

عيـــني شـــحّا ولا تســـحّا جـــل مصـــائبي عـــن البكـــاء

تركككمـــا الـــداء مســـتكنا أصـــدق مـــن صـــحة الوفـــاء

إن الأســـى والبكـــاء قـــدا أمـــران كالـــداء والـــدواء

ومـــا ابتغـــاء الـــدواء إلا بغيـــا ســـبيل إلى البقـــاء

ومبتغـــي العـــيش بعـــد خـــلّ كاذبـــه خلـــة الصـــفاء[1]

وعليه فقد لازم البكاء، ابن الرومي في أغلب مراثيه على فراق أحبته، وكان البكاء مسيطرا على نفسيته والمصائب التي انصبت عليه صبّا .

2- الحزن والألم :

الحزن ألم نفسي يوصف الشعور بالبؤس، والعجز وهو شبيه الأسى والكآبة واليأس، ومن المؤكد بأن هذه المشاعر بالعادة هي مشاعر سلبية وقد تجرّع ابن الرومي كؤوس الألم والحزن مرات عديدة في حياته خصوصا أن ألمه كان معنويا حسيا ،وقد بدا ذلك جليا من خلال شعره الذي كان ملجأه وملاذه الوحيد الذي بث فيه أحاسيسه المرة، وتألم على فقدان أهله كما في قصيدته التي أتى فيها ابنه الأوسط حين قال :

بـــني الـــذي أهدتـــه كفـــاي للثـــرى فيـــا عـــزة المهـــدى ويـــا حســـرة المهـــدي .

[1] - ابن الرومي :الديوان ،ج 1، ص 34

تــوخّى حمــام المــوت أوســط صــبيتي فللــه كيــف أختــار واســطة العقــد[1]

هذه الأبيات تصور مدى الحزن والأسى الذي يعتصر قلبه وهو يستشعر عبثية الوجود في موقف الموت، فهو يهدي إلى التراب هدية غالية يبكي عليها حسرة وجزعا، فهو يصور تفاصيل المشهد الكالح محاولا إخفاء مشاعر الأسى والحزن فيقول :

ألام لمــا أبــدى عليــك مــن الأســى وإني لأخفــي أضــعاف مــا.أبــدي .

محمــد : مــا شــيء تــوهّم ســلوة لقلــبي إلا زاد قلــبي مــن الوجــد .

أرى أخويــك البــاقيين فإنمــا يكونــان للأحــزان أورى مــن الزنــد

إذا لعبــا في ملعــب لــك بــدّعا بمثــل النــار مــن غــير مــا قصــد .

فمــا فيهمــا لي ســلوة بــل حــزازة يهيجانهــا دوني وأشــقى بهــا وحــدي[2]

أما قصيدته التي رثى فيها أبنه " هبة الله " فنجدها على نسق القصيدة السابقة في بث روح الحزن فيقول

أبــني إن أحــزن عليــك فلــي في أن فقــدتك ســاعة حــزن

وإن افتقــدت الحــزن مفتقــدا لــبي لفقــدك للحــري القمــن

بــل لا إخــال شــجاك تعدمــه روح ألّم بهــا ولا بــدن

فــالله لا تنفــك لي شــجنا يمضــي الزمــان وأنــت لي شــجن[3]

فنبرة الحزن والألم طاغية في جميع أبيات القصيدة، تحمل صدق العاطفة والتهاب الخاطر ،جراء الفراغ الموحش الذي تركه موت ابنه.

[1] – ابن الرومي: الديوان ،ج 1، ص 401 .

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 401 .

[3] – المصدر نفسه ،ج3، ص 435

أما قصيدته ،التي رثى فيها خاله ففيها تصوير بمدى الحزن، والهم واليأس الذي ألم بقلبه فبات حزينا كئيبا يقاسي وحده طعنات الدهر له، فأصبح نهاره موحشا وليله فاقد للنوم، ونستشف دلك من خلال قوله :

نهــاري لــدن فــارقتني لــك مــوحش وليلــي فقيــد النــوم حــتى انحســاره

علــي خشــوع ظــاهر واســتكانة كــأني أســير كــانع لأي إســاره

أيســكن مســلوب ســكينة ليلــه ويــأنس مفجــوع بــأنس نهــاره

يقاســي زفــيرا في صــعوده يــراح دمعــا ذائبــا في انحــداره[1]

ويشتد حزنه وألمه على فراق خاله فيتمنى لو قبلت الليالي منه فداء خاله فيقول :

لــو قبلــت مــني الليــالي فــداءه لفــديتها مــن تالــدي بخيــاره

فــأنّ تفــاديني المنايــا بمثلــه وكــيس المنايــا كيســها في اختيــاره[2]

ومن الخطوب والنكبات التي ألمت بالشاعر موت أخيه، فحزن على موته حزنا شديدا فقد كان له سندا وركنا شديدا يأوي إليه في ضعفه كما كان له بمثابة والده الذي حرم منه مند طفولته، فرثاه رثاء صادقا معمقا بالحرقة والأسى .يقول :

وتســليني الأيــام لا أن لــوعتي ولا حــزني كالشــيء ينســى فيعــرب

ولكــن كفــاني مســليا ومعزيــا بــأن المــدى بيــني وبينــك يقــرب[3]

ومنه فحالة الحزن والألم الشديدين جعلت منه يتمنى الموت ويطلبه ليكون بجوار أحبائه الذين سبقوه وتركوا له فراغا موحشا لا يقوى عليه

[1] –ابن الرومي : الديوان ،ج2، ص 161 .

[2] – المصدر نفسه ، ج2، ص 162 .

[3] – المصدر نفسه،ج1، ص 96 .

3- الرضا والتسليم :

إن الموت حقيقة لا مفر منها وقد أدرك ابن الرومي حقيقتها ،حينما عصف الحزن على روحه وألمّ الهم بقلبه، وأدرك أنه لا سبيل للاستمرار في هذه الحياة إلاّ بالرضا والتسليم والانقياد، لما يصدر من حكمة إلهية ولما يصيبه من حوادث ونوائب الدهر، وقبول دلك من غير إنكار بالقلب أو اللسان فشكى وبث حزنه لله حين فجع بفقد أمه فقال :

إلى الله أشكو جهد بلوي إنه بمستمع الشكوى و مستوهب العصم.

وإنّي لم أيتم صغيرا وإنني يُتّمت كبيرا أسوء اليَتم واليُتم

على حين لم ألق المصيبة جاهلا ولا أهلا والدهر قد أعترم

أقاسي وصنوي من كل شديدة تبرّح بالجلد الصبور وبالبرم[1]

وفي هذه الأبيات تصريح واضح بعجز ابن الرومي عن مقاومة الموت، وبضعفه أمام المصائب التي حلت به فشكى الله ضعفه وقلة حيلته ،فهو القادر على تغيير مسار حياته فالحوادث التي ألمت به هي بمشيئة الله وقدره، وما عليه إلاّ الرضا والخضوع لأمره ،ونلمس ذلك في رثاء أبنه محمد حين قال :

ولكن ربي شاء غير مشيئتي وللرب إمضاء المشيئة لا العبد

وما سرني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

ولا بعته طوعا ولكن غصبته وليس على ظلم الحوادث من معدي[2]

فابن الرومي هنا يتهم الحوادث والأقدار، وينفي أن المشيئة من عند العبد بل هي من عند الله عزوجل، والموت مصير الإنسان في النهاية سواء طال عمره أو قصر فيقول في أمه :

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج3 ،ص 288 .

[2] – المصدر نفسه ،ج1، ص 401 .

رأيـــت طويـــل العمـــر مثـــل قصـــيره إذا كـــان مفضـــاه إلى غايـــة تـــؤم

ومـــا طـــول عمـــر لا أبـــا لـــك ينقضـــي ولا خـــير عـــيش قصـــر وجدانـــه العـــدم

ألا كـــل حـــي مـــا خـــلا الله ميـــت وإن زعـــم التأميـــل ذو الإفـــك مـــا زعـــم[1]

يؤمن ابن الرومي بأن الله وحده من يهب الصبر والسلوان على عبده وما شفاء الهم والغمّ إلاّ بيده وفي هذا يقول :

يريـــد المعـــزي بـــرء همـــي بوعظـــه ولم يـــك غـــير الله يـــبرئ مـــا كلـــم

هـــو الواهـــب الســـلوان والصـــبر وحـــده لـــذي الـــرّزء المهـــدي الشـــفاء لـــدي ســـقم[2]

فالسلوان والصبر كما يرى ابن الرومي أمر طبيعي، قائم على الطبيعة الإنسانية فلا تقوم الحياة إلا به والإنسان يعتاد الفقد كما يعتاد الوجدان، وفي هذه الحالة يتساوى العدم والوجود في إحساس النفس البشرية يهما [3]

إذن فقد أدرك ابن الرومي أنّ الصبر على قضاء الله وقدره هو السبيل الوحيد للشفاء من الهم والغم ،والتحرر من سجن الحزن والأسى والاستمرار في الحياة.

4- الموت والفقد:

لقد شعر ابن الرومي بهاجس الموت الذي يداهم الإنسان وأحس به إحساسا بالغا فنقمه وتطيّرَ منه، نتيجة الخطوب الفادحة التي حلت به فأضلت صوابه، فسكن إلى هواجس النفس ووساوس الشعور، عبر عنها في رثاءه لأهله، بقصائد مكتظة بألفاظ الموت ومعانيه ، إذ أضحى الموت منبع قلقه وخوفه الدائم . [4]

فنجده ثائرا عليه وغاضبا وساخطا كما في قوله في رثاء ابنه الأوسط يقول :

[1] -ابن الرومي : الديوان ،ج3، ص 290 .

[2] -المصدر نفسه ،ج3، ص 295 .

[3] - ينظر : ركان صفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، ص 97 .

[4] - ينظر : محمد خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص 208 .

ألا قاتـــل الله المنايـــا ورميهـــا مـــن القـــوم حبـــات القلـــوب علـــى كمـــد

طـــواه الـــردى عـــنّي فأضـــحى مـــزاره بعيـــدا علـــى قـــرب قريبـــا علـــى بعـــد

لقـــد أنجـــزت فيـــه المنايـــا وعيـــدها وأخلفـــت الآمـــال مـــا كـــان مـــن وعـــد.[1]

وفي خضّم هذه الصورة الثائرة التي رسمها الشاعر، نجد أنّ رؤيته للموت قد تغيرت، فقد كان قبلا كارها له ،محاولا النجاة منه ولكن الفاجعة التي ألمت به جعلته يطلب الموت ليلحق بإبنه، كما جعلته يتمنى لو أنه مات قبله يقول:

بـــودي أنّي كنـــت قـــد مـــت قبلـــه وأنّ المنايـــا دونـــه صـــمدت صـــمدي

ولا بعتـــه طوعـــا ولكـــن غصـــبته ولـــيس علـــى ظلـــم الحـــوادث مـــن معـــدي

وأولادنـــا مثـــل الجـــوارح أيهـــا فقـــدناه كـــان الفـــاجع البـــين الفقـــد

أقـــرة عيـــني لـــو فـــدى الحـــي ميتـــا فـــديتك بالحوبـــاء أول مـــن يفـــدي

أودّ إذا مـــا المـــوت أوفـــد معشـــرا إلى عســـكر الأمـــوات أني مـــن الوفـــد[2]

والشاعر يتوق إلى الموت في هذه اللحظات ولكنه لا يحصل عليه فتراه يلجأ إلى إسقاطه على ملذات ومتع الحياة وانصرافه وإضجاره عنهما فيقول :

ثكلـــت ســـروري كلـــه إذ ثكلتـــه وأصـــبحت في لـــذات عيشـــي أخـــا زهـــد[3]

أما قصيدته التي رثى فيها أمه فتتفرد عن باقي القصائد، فهي مشبعة بألفاظ الموت ومدلولاته فموت أمه أبكاه وقهره وكسر ظهره يقول:

أقـــول وقـــد قـــالوا أتبكـــي كفاقـــد رضـــاعا وأيـــن الكهـــل مـــن راضـــع الحلـــم؟

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 400 .

[2] – المصدر نفسه ، ج1، ص402.

[3] –المصدر نفسه ،ج1، ص 402.

هـــي الأم يـــا للنـــاس جرعـــت ثكلهـــا ومـــن يبـــك أمّـــا لم تـــذم قـــطّ لا يـــذم

خليلـــيّ : هـــذا قـــبر أمـــي فورعّـــا مـــن العـــدل عـــنيّ وجعـــلا جـــابتي نعـــم .

أحـــاملتي : أصـــبحت حمـــلا لحفـــرة إذا حملـــت يومـــا فلـــيس لهـــا قـــتم .

أأمـــرح فـــوق الأرض يـــا أمّ والثـــرى عليـــك مهيـــل قـــد تطـــابق وارتكـــم ؟

ويتصاعد عنده موقف بموت أمه فتنفجر عاطفته فهو لايتمنى بقاء أمه لكن للقدر رأي غير ذلك، ولو كان بوده أن يفديها لفداها بروحه يقول :

ولـــو قبـــل المـــوت الفـــداء بدلتـــه ولكنمـــا يعتـــام رائـــده العـــيّم

أيـــا مـــوت : مـــا أســـلمتهالك طائعـــا هـــواك، فمـــا لي زفـــرتي زفـــرة النـــدم

ســـأبكي بنشـــر الـــدمع طـــورا وتـــارة بـــنظم المراثـــي دائـــم الحـــزن والـــوكم [1]

ثم يأتي على القصيدة إسقاط الحياة على أمه المتوفاة، فأمه حين ماتت، ماتت معها الأرض، وحين صعدت إلى السماء صعدت معها الحياة، فالسموات العلا تباشرت بروحها فرحا وأصبحت أمه كوكبا منيرا في السماء لم يره الراؤون قبل موتها [2] يقول :

وأمـــا الســـماوات العلـــى فتباشـــرت بروحـــك لمّـــا ضـــمها ذلـــك المضـــم

ومـــا كنـــت إلاّ كوكبـــا كـــان بيننـــا فبـــان وأمســـى بـــين أشـــكاله نجـــم .

رأى المســـكن العلـــوي أولى بمثلـــه فودعنـــا جـــاءت معاهـــده الـــرهم .

تأمـــل خليلـــي في الكواكـــب كوكبـــا ترفـــع كالمصـــباح في وزرة العلـــم

[1] – ابن الرومي : الديوان ،ج3 ،ص 294 .

[2] – ينظر : محمد أحمد سعيد حموه : الحياة والموت في شعر ابن الرومي، أطروحة ماجيستر في اللغة العربية، عبد الحق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017 م، ص 51 .

سمـــا عـــن ســـفال الأرض نحـــو سمائـــه فكشـــف عـــن أفاقهـــا عاصـــب القـــتم

ولم يـــره الـــراؤون مـــن قبـــل موتهـــا بحيـــث بـــدالا المعربـــون ولا العجـــم[1]

كما نرى أن فكرة الموت قد تمكنت من قلبه حتى أسبغها على مظاهر الحياة فالدنيا أظلمت وباخ ضياؤها ،والأرض أجدبت بعد أن كانت روضة والجبال مادت والسحاب بكى، والريح فاحت ،وعقدت الجن والإنس مأتما لها .

فهذه الصورة التي رسمها الشاعر هي ترجمة وانعكاس على الموجودات بقول:

وأظلمـــت الـــدنيا وبـــاخ ضـــياؤها نهـــارا وشمـــس الصـــحو حـــيرى علـــى القمـــم

وأجـــدبت الأرض الـــتي كنـــت روضـــة عليهـــا وأبـــدت مكلحـــا بعـــد مبتســـم

ومـــادت لـــك الأجيـــال حـــتى كأنمـــا شـــواهقها كانـــت بمحيـــاك تـــدعّم

وأصـــبح يبكيـــك الســـحاب مجـــاودا فـــأرزم إرزام العجـــول ومـــا رذم

وناحـــت عليـــك الـــريح عـــبرى وأصـــبحت لـــدن عـــدمت ريّـــاك تجـــري فـــلا تشـــم

وقامـــت عليـــك الجـــن والإنـــس مأتمـــا تبكـــي صـــلاة الليـــل والخمـــص والهضـــم[2]

ونراه يتمنى الموت حتى في رثاء أمه، فلا معنى للعيش في هذه الحياة بعد فقدانها بقول:

عزيـــز علينـــا أن تمـــوتي وأننـــا نعـــيش ولكـــن حـــم المـــوت فـــأحتكم[3]

وجملة القول : إنّ فكرة الموت عند ابن الرومي كانت مسيطرة على نفسيته وعلى تفكيره ،فقد بنى مدلولات الموت في قصائده بناء متماسكا ،ناتجا عن انفعالاته العاطفية جراء المصائب التي تلقاها والتي انسكبت عليه واحدة تلو الأخرى، إذ نرى رؤيته للموت تتأرجح بين خوف ونفور منه، وبين رغبة شديدة فيه ،وبين صبر ورضا بقضاء الله وقدره .

[1] – ابن الرومي : الديوان ،ج3، ص 297 .

[2] –المصدر نفسه ،ج3، ص 297 .

[3] – المصدر نفسه، ج3، ص 294 .

ثانيا:معجم الموت في ديوان ابن الرومي

1- حصر المتقاربات مع بعضها:

اعتمد ابن الرومي في ديوانه على معجم ثري بألفاظ الموت ومتعلقاته، والتي سنبرزها في ما يلي :

1-1- المنية:أستخدم ابن الرومي لفظة المنية في قصائده، فنجد ديوانه طافحا بألفاظ الموت ومعانيه والمنية في اللغة " **الموت لأنه قدر علينا، وجمعها منايا، لأنها مقدرة بقدر مخصوص** ".[1]

بقول ابن الرومي في قصيدة " **المنية لا تبقى** ":

إن المنيـــة لا تبقـــي علـــى أحـــد ولا تهـــاب أخـــا عـــزّ ولا حشـــد.

إن لا يكـــن ظفـــر الهيجـــا منيتـــه فـــأكرم النبـــت يـــدوي غـــير محتصـــد[2]

وقد استخدم لفظة المنية هنا بمعنى أن الموت آت لا محال، ولن يبقى على أحد أيا كان، كما استعمل إبن الرومي في ديوانه لفظة الحمام والتي جاء معناها في لسان العرب :" الحمام بالكسر : قضاء الموت، والحمم : المنايا، ووحداتها حمة وحيمّة الموت أي قدر الفراق . "[3]

يقول ابن الرومي في قصيدة " **طواه الردى** "

تـــوخي حمـــام المـــوت أوســـط صـــبيتي فللـــه كيـــف اختـــار واســـطة العقـــد[4]

كما استخدم لفظة "الردى "فيقوله:

---

[1]- ابن منظور : لسان العرب، مج 14، ص 139 .
[2] - ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 405 .
[3] - ابن منظور : لسان العرب، مج 4، ص232 .
[4] - ابن الرومي : الديوان ،ج1، ص 400.

طـــواه الـــردى عـــني فأضـــحى مـــزاره بعيـــدا علـــى قـــرب قريبـــا علـــى بعـــد[1]

ويقول أيضا في قصيدة **"دع البطالة"** :

نبـــــل الـــــردى يقصـــــدن قصـــــدك فأحـــــد قبـــــل المـــــوت حـــــدك[2]

وقد جاءت لفظة الردى في معجم لسان العرب على أنها " الردى : الهلاك والموت" . [3]

والمعنى العام الذي تحمله هذه الأبيات هو حتمية الموت وأحقيته، فالموت مقدر ومخصوص .

كما استخدم لفظة الهلاك في ديوانه، والتي جاء معناها في معجم اللغة " هلك يهلك هلاكا أي مات ،وهلك الناس أي استوجبوا النار والخلود فيها، والهلاك الجهد المهلك" .[4]

يقول ابن الرومي في قصيدة **"في نعمة"** .

واستشـــهدت مـــن مضـــى منّـــا فأنبأنـــا عـــن ذلـــك كـــل لقـــي منّـــا مـــدفون

مـــن هالـــك وقتيـــل بـــين معتـــبط وبـــين فـــان بـــترك الـــدهر مطحـــون[5]

والدلالة التي تحملها لفظة هلاك في هذا البيت ،هي الموت والفناء .

1-2 – القبر:

لقد أستخدم ابن الرومي في ديوانه معجم الموت من خلال الحقل الدلالي للقبر، وهو المثوى الذي يتضمن جسد الميت، وهو في معجم لسان العرب " مدفن الإنسان وجمعه قبور ."[6]

---

[1] – ابن الرومي : الديوان ، ج1، ص 400 .
[2] –المصدر نفسه ،ج3، 46 .
[3] – ابن منظور : لسان العرب، مج 6، ص 202.
[4] – المرجع نفسه ، مج 15، ص 81 .
[5] – ابن الرومي : الديوان، ج3، ص 397 .
[6] – ابن منظور : لسان العرب، مج 12، ص 8 .

يقول ابن الرومي في قصيدة "**أنفقت دمعي**" :

وعكفـــــت بـــــالقبر المحـــــيط بـــــه فاعـــــذر فـــــلا صـــــنم ولا وثـــــن[1]

ويقول أيضا في قصيدة" **كيف اصطباري** " :

خليلـــي : هـــذا قـــبر أمـــي فورعـــا مـــن العـــدل عـــني واجعـــلا جـــابتي نعـــم[2]

و قد استخدمه الشاعر هنا بمعنى الوحشة والتعب والألم والاشتياق، كما استخدم لفظة الضريح والتي جاء معناها في لسان العرب بمعنى : " الشق وسط القبر "[3]

يقول ابن الرومي في قصيدة" **مات محمود** " :

مـــا مـــات خلـــك يـــوم زار ضـــريحه بـــل يـــوم زار قـــوابلا وحواضـــنا

بـــل منـــد أودع مـــن أبيـــه وأمـــه مســـتودعيه فكـــن لـــذلك فاطنـــا[4]

ويقول أيضا في قصيدة " **دع البطالة** "

قـــد ســـلموك إلى الضريـــ ح ووســـدوا بـــالتراب خـــدك[5]

وقد استخدم لفظة الضريح بمعنى التفكر والتأمل فهو ملاذ الإنسان ومسكنه بعد الموت، كما استخدم لفظة اللحد، والتي جاءت في لسان العرب بمعنى :"الشق الذي يكون في جانب القبر وموضع الميّت."[6]

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج3، ص 434 .
[2] –المصدر نفسه ،ج3، ص 294 .
[3] – ابن منظور : لسان العرب : مج 9، ص 31 .
[4] – ابن الرومي : الديوان ،ج3، ص 489 .
[5] – المصدر نفسه، ج3، ص 46 .
[6] – ابن منظور : لسان العرب، مج 13، ص 223.

يقول ابن الرومي في " **طواه الردى** " :

لقد قل بين المهد واللحد لبثه فلم ينس عهد المهد إذ ضمّ في اللحد[1]

ويقول أيضا في قصيدة "دع البطالة" :

وتركت منزلك المشيد وسكنت لحدك[2]

كما استعمل لفظة الثرى والتي جاء معناها في لسان العرب : الثرى: التراب الندِيُّ، وقيل هو التراب الذي إذا بُلَّ يَصر طينا لازبًا .[3]

يقول ابن الرومي في قصيدة "**التوبة**":

إذا باشروا والثرى بالخدود والضوارع

استهلّت عيونهم فائضات المدامع[4]

ويقول أيضا في قصيدة" **لوعة الفراق**":

أعيني جودا فقد جدت للثرى بأكثر ممّا تمنعان وأطيبا

بنيّ الذي أهديته أمسى للثرى فلله، ما أقوى قناتي واصلبا[5]

ودلالة استخدام لفظة الثرى في هذه الأبيات بمعنى القبر وهو يحمل جميع معاني الحزن والألم.

[1] – ابن الرومي : الديوان ،ج1، ص 400 .
[2] –المصدر نفسه ،ج3، ص 46 .
[3] – ابن منظور : لسان العرب ،مج 3، ص 17 .
[4] – ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 342 .
[5] –المصدر نفسه ،ج3، ص 158.

1-3- **الكفن** :

لقد استعمل في ديوانه لفظة " الكفن "وهي في الحقل الدلالي للموت، فجاء معناها في معجم لسان العرب على أنه : " الكفن : التغطية، ومنه سمي كفن الميّت لأنه يستره، والكفن لباس الميّت "[1]

أما في قاموس المحيط، فقد وردت لفظت الكفن على أنها : "كفن الخبزة في الملّة بكفنها، وأراها بها، والصوف غزله، والميّت ألبسه الكفن "[2]

وقد استخدمها الشاعر في ديوانه كما في قوله قصيدة" أنفقت دمعي " :

أَبـــــني إنَّـــــكَ والعَـــــزَاء معـــــا بـــــالأَمس لـــــفَّ عليكمـــــا الكَفَـــــن[3]

ويقول أيضا في قصيدة **"شمس الشموس"** :

أنَّى اختصـــــرَتَ الطريـــــق يـــــا ســـــكني إلى لقـــــاء الأكفـــــان والحفـــــر ؟[4]

والدلالة التي تحملها لفظة الكفن في هدين البيتين هي التعبير عن شدّة الحزن والألم جرّاء الفراق .

كما استخدم لفظة "الرفات" في ديوانه، يقول في قصيدة **"الأم الراحلة"** :

هـــــل النـــــاس إلاّ معشـــــر مـــــن ســـــلالة تعـــــود رفاتـــــا ثمّ أي رفـــــات![5]

والرفات في لسان العرب هو: " الحطام من كلّ شيء تكسّر، ورفت العظمُ يَرفَتُ رفتاً : صار رفاتا والرفات كلُّ ما دقَّ فكُسر.[6] "

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب ،مج 13، ص 92 .

[2] – الفيروز أبادي : قاموس المحيط ،مج4، ص 1236 .

[3] – ابن الرومي :الديوان، ج3، ص.433 .

[4] –المصدر نفسه ،ج2، ص 18 .

[5] –المصدر نفسه ،ج1، ص 261 .

[6] – ابن منظور : لسان العرب، مج 6، ص 188 .

ودلالة هذه اللفظة هنا هو تصوير ما يصير إليه الإنسان بعد موته، فالإنسان خلق من تراب ومرجعه ومآله التراب فيعود هشيما ورفاتا.

كما استخدم لفظة الرميم، وقد ورد معنى هذه اللفظة في لسان العرب على النحو التالي:"الرّميم: مثل الرّمَة ,والرّمة العظم البالي، ورممت العظام أي صارت رميماً، ورمّ الميّت وأرم إذا بلى "[1]

أما في معجم تاج العروس فهي بمعنى :

الرّميم: " العظم يرُمُّ من حدّ ضرب، ورما ورميماً ، وأرم : صار رمّةً بَلِيَ يقال رمّت عظامه وأرمت إذاَ بليَت فهو رميم ومنه قوله تعالى : "يحي العظم وهي رميم"{ يس 78}." [2]

يقول ابن الرومي في قصيدة"**الأم الراحلة**" :

مِيَّـــاه مُهِينـــاتٍ يَـــؤُول مَآلهَـــا إلَى رمَـــمٍ مِـــن أَعظَـــمِ نخـــراتٍ[3]

ومنه فالدلالة التي تحملها لفظة الرميم هو ما تأول إليه جُثة الميّت بعد بلائها، وما يصير إليه، والمعنى العام الذي يحمله هذا البيت هو التفكر في رحلة الإنسان بعد الموت .

1-4 – النعي :

لقد استخدم ابن الرومي في ديوانه لفظة" النعي " وهي في الحقل الدلالي للموت، وقد ورد معناها في معجم لسان العرب كما يلي : " النعي خبر الموت، وقيل الدّعاء بموت الميّت والإشعار به، وجاء نعي فلان : هو خبر موته "[4]

[1]- ابن منظور : لسان العرب، مج 6، ص 230 .

[2]- محمد مرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس، مج 16، ج 31، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428 هـ، 2007 م، ص 143 .

[3] - ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 261 .

[4]- ابن منظور: لسان العرب، مج 14، ص 308 .

أما صاحب القاموس المحيط فقد جاءت لفظة النعي عنده بمعنى : " المنعى والمنعاة : خبر الموت، ونعاء فلان أي أنعه وأظهر خبر وفاته " [1] وقد استعمل ابن الرومي لفظة النعي في قصيدة **"خير البرية"** يقول :

لقـــد نعيـــت امـــرأ مـــا كنـــت أحســـبه ينعـــاه إلاّ هـــو الشـــمس والقمـــر

يـــا نـــاعي ابـــن رســـول الله مبتهجـــا لقـــد تفوهـــت بـــالكبر مـــن الكُـــبر[2]

والدلالة التي تحملها لفظة النعي هي نقل خبر فاجعة الوفاة وإعلانه وإشهاره.

كما استخدم لفظة العزاء يقول في قصيدة **"الأم الراحلة "** :

عـــــزاؤك أن الـــــدهر ذو فجعـــــات وكـــــلّ جميـــــع صـــــائر لشـــــتات

تعـــزّ بمـــوت الصـــيد مـــن أل مصـــعب تجـــدهم أســـى إن شـــئت أو قـــدوات

تعـــز وقـــد نـــابتهم كـــل نوبـــة ومـــاتوا فعـــروا كـــل ذي حســـرات[3]

وقد جاء معنى هذه اللفظة في معجم اللغة على أنه :" العزاء الصبر على كل ما فقدت والعزاء على المصائب الصبر عليها"[4]

ودلالة العزاء هنا هي الصبر على الكوارث والنكبات وخصوصا فاجعة الموت والفقد.

كما استعمل ابن الرومي لفظة " المأتم " في ديوانه وهي من الحقل الدلالي للموت فجاء معناها في لسان العرب " المأتم كلّ مجتمع للرجال أو النساء في حزن أو فرح ثم خصّ به اجتماع النساء للموت " [5]. يقول ابن الرومي في قصيدة " **مجلسه مأتم**".

---

[1]-لفيروز أبادي : القاموس المحيط، مج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ -2004 م، ص 1345.

[2] -ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 162 .

[3] -المصدر نفسه ،ج1، ص 261، 262 .

[4]- ابن منظور : لسان العرب، مج 10، ص 141 .

[5]-المرجع نفسه ،مج7 ،ص 3 ،4 .

مجلســـــه مـــــأتم اللـــــذاذات والـــــ قصـــــف، وعـــــرس الصـــــوم والســـــدم[1]

ومعنى هذه اللفظة هي مجلس الهموم والأحزان

1-5-السقم :

لقد استخدم ابن الرومي في ديوانه لفظة السقم، وهي من الحقل الدلالي للموت، فهي في معجم لسان العرب " السقم : المرض والداء "[2]

يقول ابن الرومي في قصيدة " **يا مستحل دمي** " :

قلـــبي مـــن الطـــرف الســـقيم ســـقيم ولـــو أنّ مـــن أشـــكوا إليـــه رحـــيم[3]

وقد استعمله في هذا البيت بمعنى الألم والحزن .

كما استخدم لفظة الدم والتي جاء معناها في لسان العرب : " الدم من الأخلاط والدم اسم على حرفين، وأدميته ودَمَّيتُه تدمية إذا ضربته حتى خرج الدّم منه "[4]

يقول ابن الرومي في قصيدته " **طواه الردى** " :

أفيضـــا دمـــا إنّ الرزايـــا لهـــا قـــيَّمُ فلـــيس كثـــيرا أن تجـــودا لهـــا بـــدم[5]

وقد استخدمه هنا كناية عن كثرة البكاء جرّاء الحزن فبكى دماً بدل الدّمع، كما استخدم لفظة النزف في قصيدته " **طواه الردى** " حين قال :

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج3، ص 246 .
[2] – ابن منظور : لسان العرب، مج 7، ص 211 .
[3] – ابن الرومي : الديوان، ج3، ص 252 .
[4] – ابن منظور : لسان العرب، مج 5، ص 305 .
[5] – ابن الرومي : الديوان، ج 3، ص 288.

ألح عليه النزف حتى أماله إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد[1]

والتي جاء معناها في لسان العرب : نزفت نزفا إذا نزحته كلّه، والنزف الجرح الذي ينزف عنه دما الإنسان، ونزف الرجل دماً إذا رعف فخرج دمه كلّه ."[2]

وقد استخدمه ابن الرومي هنا بمعنى المرض والسقم والضعف.

1-6 – الثكل :

استعمل ابن الرومي في ديوانه لفظة الثكل بكل متعلقاتها والتي جاء معناها في معجم اللغة على النحو التالي :" الثكل الموت والهلاك، وثكلتك أمّك أي فقدتك، والثكل فقد الولد."[3]

فقد استخدمها ابن الرومي في قصائده كما في قصيدته " **ما مات** " يقول فيها:

لا يحزننّك من يمو ت فلم يمت من مات قبلك.

ما مات إلاّ من تطو ل عمده وأديق تكلك.

لا داق ثكلك دائق حتّى يرى الناس مثلك[4]

ويقول أيضا :

ثكلت سروري كلّه إذ ثكلته وأصبحت في لدات عيشي أخا زهد[5]

[1] – ابن الرومي : الديوان،ج1، ص 400 .
[2] – ابن منظور : لسان العرب ،مج 14 ، 235
[3] – المرجع نفسه : مج 3، ص 31 .
[4] – ابن الرومي : الديوان، ج 3، ص 57 .
[5] – المصدر نفسه ،ج1، ص 401 .

ويقول أيضا :

هـــي الأم يـــا للنـــاس جرعـــت ثكلهـــا ومـــن يبـــك أمّـــاً لم تـــذَم قـــط لا يـــذم[1]

ومعنى الثكل في هذه الأبيات هو الحرقة واللوعة جرّاء فقد الأحبة من الأهل والأصدقاء وفيه حزن وألم كبير .

كما استخدم لفظة الفقد، كما في قصيدة" **أنفقت دمعي** "يقول:

وإن افتقـــــدت الحـــــزن مفتقـــــدا لـــــبي لفقـــــدك للحـــــري القمـــــن .

مـــــا في النهـــــار وقـــــد فقـــــدتك مـــــن أنـــــس ولا الليـــــل لي ســـــكن[2]

وقد جاءت لفظة الفقد في معجم لسان العرب بمعنى " فقد الشيء بفقده فقودا عدمه ،والفاقد من النساء التي يموت زوجها أو ولدها أو حميمها"[3]

1-7 –مضى :

استغلّ ابن الرومي في معجمه لفظة " مضى " من خلال الحقل الدلالي للموت فجاء مفهومها في معجم لسان العرب : " مضى الشيء يمضي مضيا، ومضوّا :خلا وذهب، ومضى سبيله : مات . "[4]

أما إذا ما نظرنا إلى مفهومه في القاموس المحيط فإننا نجد معناه : " مضى يمضي مضيا، ذهب وانصرف وخلا سبيله مات "[5]

وقد استخدم ابن الرومي هذه اللفظة في ديوانه كما في قصيدة " **ليله كنهاره** "يقول :

[1] – ابن الرومي : الديوان ، ج 3، ص 296 .
[2] – المصدر نفسه ، ج3، ص 434 .
[3] – ابن منظور : لسان العرب، مج 11، ص 205 .
[4] – المرجع نفسه، مج14، ص 90 .
[5] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مج 4، ص 1341 .

مضـــى قـــد تنـــاهى ســـؤددا غـــير أنـــه مضـــى نصـــفا قـــد لاح شـــيب عـــذاره

ولم تطـــــل البلـــــوى عليـــــه لعلمـــــه لتســـــليمه فيمـــــا مضـــــى واصـــــطباره[1]

والدلالة التي تحملها لفظة "مضى " في هذه الأبيات هي الرحيل والموت .

كما استخدم لفظة " هجر " والتي جاء معناها في لسان العرب :" الهجر ضدّ الوصل، وهجرت الشيء هجرا ، إذا تركته وأغفلته ."[2]

أما في القاموس المحيط فنجد معناها هو : " هجره هجرا وهجرانا :صرمه والشيء تركه. "[3]

يقول ابن الرومي في قصيدة :" **يوم هجر** "

يحـــــــــول الحـــــــــول في الوصـــــــــل ويبقـــــــــى لي تـــــــــذكاره

ويـــــــــوم الهجـــــــــر والبـــــــــين كيـــــــــوم كـــــــــان مقـــــــــداره[4]

ويقول أيضا في قصيدة " **شمس الشموس** " :

يـــــا لهـــــف نفســـــي علـــــى مهـــــاجرتي إيّـــــاك لهفـــــا يطـــــير كالشّـــــرر

هجـــرُ مـــتى شـــئت قلـــت كـــان مـــن الـــ خســـران أو قلـــت ربـــح متجـــر[5]

كما استخدم لفظة "الرحيل" في ديوانه كقوله في قصيدة "فراق"

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 160 .

[2] – ابن منظور : لسان العرب : مج15، ص 23 .

[3] – الفيروز أبادي : القاموس المحيط، مج 4 ص 519 .

[4] – ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 169 .

[5] – المصدر نفسه ،ج 2 ،ص 20 .

خانك الصبر يوم قبل الرحيل إنّ خطب الفراق خطب جليل[1]

وقد جاءت لفظة" الرحيل" في القاموس المحيط بمعنى : " رحل : سار ومضى القوم عن المكان انتقلوا ."[2]

ومنه فدلالة الرحيل هي المضي والانتقال، وقد استخدمها الشاعر بمعنى الموت والوفاة .

كما استخدم لفظة "ذهب " والتي جاء معناها في معجم اللغة :

" الذهاب :السير والمرور، وذهب به أزا له ،وذهب الرجل : هَجَرَ "[3]

يقول ابن الرومي في قصيدة : **"دع اللئام"**

ذهـــب الـــذين تَهُـــزُّهَم مـــدَائِحُهُم هـــزَّ الكمـــاة عـــواليّ المـــرّان[4]

ودلالة استخدام الشاعر للفظة الذهاب في هذا البيت هو المضي والموت والرّحيل وفيه تذكير بمآل الإنسان في الدنيا .

1-8- الفاجعة:

لقد استعمل ابن الرومي في ديوانه لفظة الفاجعة ،التي تنتمي للحقل الدلالي للموت وهي في معجم لسان العرب: " الفجيعة الرزية الموجعة، وفجعته المصيبة أي أوجعته، والفواجع المصائب المؤلمة التي تفجع الإنسان بما يعزّ عليه من مال أوحميم . "[5]

---

[1] – ابن الرومي : الديوان، ج2، ص 171 .

[2] – الفيروز أبادي : القاموس المحيط، مج4، ص 1018.

[3] – ابن منظور :لسان العرب، مج 6، ص 48، 49 .

[4] – ابن الرومي :الديوان ، ج 3، ص 382 .

[5] – ابن منظور : لسان العرب، مج 11، ص 133 .

يقول ابن الرومي في قصيدة " **ليله كنهاره**" :

أيسكن مسلوب سكينة ليله ويأنس مفجوع بأنس نهاره[1]

ويقول أيضا في قصيدته " **طواه الردى** " :

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقدناه كان الفاجع البين الفقد [2]

كما يقول في قصيدته " **خير البرية** " :

إن تفجعونا بسهم من كتافتنا فعندكم من تناه أبلغ الخبر[3]

يتبيّن لنا من خلال هذه الأبيات أنه استخدم لفظة " الفاجعة " للتعبير عن المصائب المؤلمة التي حلّت به، كما استخدم في معجمه لفظة " المحنة " والتي جاء معناها في اللغة :" المحنة :الخبرة، وامتحنته : اختبرته و بلوته وابتليته، والمحنة بلية تستجير بكرم الله منها "[4]

يقول ابن الرومي في قصيدة" **صبرا** " :

هي محنة للمتقيـ ن وفتنة للمترفينا[5]

والدلالة التي تحملها لفظة محنة هنا هي المصيبة والمرزية التي تزرع الأسى والألم في قلب المصاب بها، فتولد له مشاعر الحزن والكمد.

[1]- ابن الرومي : الديوان، ج 2، ص 161 .
[2]المصدر نفسه ،ج 1، ص 401 .
[3]- المصدر نفسه ، ج 2، ص 162 .
[4]-ابن منظور :لسان العرب، مج14، ص 32 .
[5]- ابن الرومي : الديوان : ج 3، ص 396.

1-9- الحزن:

لقد استعمل ابن الرومي لفظة الحزن وهي من الحقل الدلالي للموت و التفجع به فقال في قصيدته :" **الحزن** " :

الحزن منحلٌّ ومنعقد لإثنين :ذا باكٍ، وذا كمد[1]

وفي قوله أيضا في قصيدة "**الرقاد** " :

لم يخلق الدمع لامرئ عبثا الله أدرى بلوعة الحزن[2]

وهو في اللغة :" الحُزنُ والحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور "[3]

وقد استخدمه الشاعر هنا بمعنى الهم والغمّ الشديدين جرّاء ما أصابه وألم به .

كما استخدم لفظة الكمد وهي في معجم اللغة :" الكمد : هّمٌ وحزن لايستطاع إمضاؤه، والكمد الحزن المكتوم."[4]

يقول ابن الرومي في قصيدة " **كمد**" :

كمد ليس ينفد وهموم تتجدد[5]

ويقول أيضا في قصيدة " **ضبي غرير** " :

ألف بين الفؤاد والكمد وحال دون العناء والجلد

---

[1]- ابن الرومي : الديوان : ج 3، ص 516 .

[2]-المصدر نفسه ،ج 3، ص 384 .

[3]- ابن منظور :لسان العرب ،مج 4، ص 109 .

[4]- المرجع نفسه ،مج 13، ص 110 .

[5]- ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 517 .

يا منية النفس لو أبوح بها ويا شفاء السقام والكمد .[1]

ويقول أيضا في الصبر والجلد :

فالحمد لله ما ينفك من كمد قلبي عليك فقد أودى بي الكمد[2]

ومنه فالمعنى الذي يحمله لفظة الكمد والحزن هنا هي من شدّة الألم والأسى الذي يعتصر قلب الشاعر .

كما استعمل لفظة الأسى والتي جاء معناها في معجم لسان العرب :" الأسى :هو الحزن ، وأسيت عليه أسى : حزنت، وأسيّ على مصيبته، يأسى أسى إذا حزن ورجل أس و أسيانٌ : حزين" [3]

يقول ابن الرومي : في قصيدة " **طواه الردى** " :

ألام لما أبدي عليك من الأسى وإني لأخفي أضعاف ما أبدي[4]

ودلالة الأسى في هذا البيت هي التعبير الصادق عن الحزن الشديد الذي ألّمّ بالشاعر جرّاء فقده لعزيز.

[1]- ابن الرومي : الديوان، ج1، ص 517 .
[2]- المصدر نفسه ،ج 1، ص 517 .
[3]- ابن منظور :لسان العرب ،مج 1، ص 109 .
[4] - ابن الرومي : الديوان ،ج1، ص 401 .

1-10- الشيب:

من الألفاظ التي استخدمها ابن الرومي في ديوانه من خلال الحقل الدلالي الموت . هي لفظة "الشيب "، والشيب في معجم اللغة يعني : " الشيب بياض الشعر والمشيب مثله، والمشيب دخول الرجل في حدّ الشيب من الرجال، والأشيب المبيّض الرأس، وشيبه الحزن : أي شيّب الحزن رأسه ".[1]

يقول ابن الرومي في قصيدة "**الشيب** "

راح شـــيبي علـــى مثـــل الثعـــام وغـــدا عـــادلي ألـــدّ الخصـــام

خـــلّ رأســـي فـــراعني أن الشيـــ ب نعـــي الصـــبا نـــذير الحمـــام[2]

ويقول أيضا :

قلـــت مســـلما للشـــيب أهـــلا بهـــاذي المخطئـــين إلى الصـــواب[3]

ومعنى الشيب في هذه الأبيات أنه نذير لقرب اجل الإنسان كما أنه يحمل الحزن والأسى، فالشيب دليل على الهم والغم والحزن.

كما استخدم أيضا لفظة " الشباب " والتي جاء معناها في اللغة : " الشباب الفتاء والحداثة "[4]يقول ابن الرومي في قصيدته " **بان الشباب** ":

[1]- ابن منظور : لسان العرب، مج 8، ص 171 .
[2] -ابن الرومي : الديوان، ج 3، ص 330 .
[3] -المصدر نفسه : ج 1، ص 167 .
[4]-ابن منظور :لسان العرب، مج 8، ص 10 .

بـــان الشـــباب ونعـــم الصـــاحب الغـــادي وكـــان ماشـــئت مـــن أنـــس وإســـعاد

بـــان الشـــباب حميـــدا مـــا ذممـــت لـــه عهـــدا ولا ذمّ مـــا زودت مـــن زاد[1]

ويقول أيضا :

لعمـــرك مـــا الحيـــاة لكـــل حـــيّ إذا فقـــد الشـــباب ســـوى العـــذاب[2]

وقد استخدمه ابن الرومي هنا بمعنى العذاب والألم .

هكذا نظر ابن الرومي إلى الشيب وفقدانه لشبابه بهذه النظرة السوداوية القاتمة مما أدى إلى ذم الحياة ومحاولة الهروب منها .

[1] –ابن الرومي : الديوان، ج1، ص، 428 .

[2] – المصدر نفسه ، ج 1، ص 167 .

خاتمـــة

خاتمة :

وهكذا في ختام بحثنا يجدر بنا أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها ، من خلال دراستنا المعنونة بـ:" صورة الموت في شعر ابن الرومي " والتي اجتهدنا في المتن في تفصيلها ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

- عاش ابن الرومي في القرن الثالث الهجري في العصر العباسي الثاني .
- كان العصر العباسي الثاني عصر اضطراب وفوضى , ساد فيه الفساد وتحكم فيه الأتراك وانقسم المجتمع إلى طبقات .
- يعد الموت أكبر هاجس يقضّ مضجع الإنسان مند أقدم العصور إلى يومنا هذا فحاول الإنسان تفسيره من خلال إنتاج الأساطير حوله كما شغل بال الفلاسفة وكان محطة دراستهم سواء منهم العرب أم الغرب .
- ذمّ ابن الرومي الحياة ونقم منها نتيجة المصائب والكوارث التي حلّت به .
- كان ابن الرومي شاعرا متشائما كثير الطيرة ، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى ما لقيه في حياته من فجائع تمثلت في فقده لأفراد أسرته .
- نفر ابن الرومي من الموت وازدراه وفي حديثه عن حتمية الموت نجده يلجأ إلى استخدام الدين.
- كان ابن الرومي في بعض حالاته محبا للموت متمنيا له ، وهذا بادي في رثاءه للأحبة المقربين ولكنّ هذا الحب للموت كان عابرا وليس سمة دائمة فيه ، بل إنّ حالاته النفسية في مثل هذه المواقف المؤقتة حكمت عليه بذلك .
- تشابهت نظرة ابن الرومي اتجاه فقد الشباب والشيب للموت ، فرأى فيها فعلا مكملا له ووجها من وجوهه المختلفة .
- تأثر ابن الرومي بشكل كبير بموت أعز الناس إليه ، بحيث تركوا على قلبه أثارا محزنة فكانت حياته بائسة في أكثر جوانبها ، مما جعله يصور أحاسيسه وعواطفه الصادقة في أعماله الشعرية.
- كان لإبن الرومي ثقافة واسعة وظّفها في خدمة أغراضه وموضوعاته الشعرية .

- مراثي ابن الرومي عنوان للعطف والودّ وكانت أصدق تجسيدا لمعاناته بألفاظ بسيطة معبّرة عن حزنه وألمه .
- ابتدع ابن الرومي الجديد في فن الرثاء والذي يكمن في رثاء المدن والجواري .
- تنوعت الحقول الدلالية للموت في قصائد ابن الرومي والتي ساهمت في بناء النص وتركيبه ، كما أنها وضحت المعنى وجعلت الفكرة راسخة في دهن المتلقي .

وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا ولو بقدر يسير، كما لا نزعم أننا قد أحطنا بجميع جوانبه ، فلكل عمل نقائص لأنه ثمرة جهد إنسان يخطأ ويصيب والكمال لله سبحانه وتعالى .

الملحق

ملحق:

ابن الرومي مولده و نشأته:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل جورجيس ،المعروف بإبن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ولد في بغداد سنة 221للهجرة في الموضع المعروف بالعقيقة ، و قصر الختلية في دار بإزراء قصر عيسى بن جعفر ، ومن خلال شعره نلاحظ أنه كان يوناني الأصل إذ يقول :

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجىً ومجد وعيدانٌ صلاب المعاجم

وقد ينسب نفسه إلى الروم يقول:

مولاهم ، و غديٌ نعمتهم و الروم – حين تنصني – أعمامي

أما أمه ففارسية ، ودالك واضح من خلال افتخاره بأخواله الفرس ، وهو ينسب نفسه أحيانا إلى ملوك بني ساسان يقول:

كيف أغضني علي الدنية و الفر س خؤولي و الروم هم أعمامي

كان ابن الرومي في طفولته هزيل الجسم ذميم الخلقة، قليل شعر الرأس مما جعله لا يفارق عمامته.

توفي أبوه وهو مازال فتى صغيرا وترك للأسرة ما يكفيها للعيش الكريم، و كان له أخٌ و أخت بالإضافة إلى أمه.

ثقافته:

التحق ابن الرومي بكتاتيب عصره، وبحلقات التدريس في المساجد فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم و من مختارات الشعر و الخطب و أصول الحساب، كما استفاد ابن الرومي من مناظرات العلماء من النحويين و الفقهاء، كما اطلع على كتب المنطقيين و الفلاسفة و المنجمين، و في شعره إشارات واضحة تثبت اطلاعه على مثل هده العلوم .[1]

[1] ابن الرومي: الديوان، ج1، ص7.

طيرته:

لعل ظروف حياته المعقدة وتلاحق الأزمات عليه و الوفيات ، وفاة والده و والدته ثم أخوه ثم أبناؤه و زوجته ، كل ذلك ترك في نفسه آثارا سيئ لم يستطع عليها صبرا و مما زاد في تأثره و انفعاله ظلم الناس له وتخلي الأصدقاء عن ه فتشاءم من كل شيء فصار ضيق الصدر سريع الانفعال ، و انعكس ذلك على شعره إذ يمدح اليوم ويهجو ممدوحه غدا ، وفي الأخبار التي ينقلها معاصروه ما يثير الدهشة لشدة تطيره و كأن خللا عقليا كان ينتابه و من ذلك أنه كان يتشاءم من بعض الأسماء فإذا قيل له جاءك مرة أغلق بابه و لم يخرج ، و مما كان يتطير منه ركوب البحر حتى غدا يتشاءم من الماء عموما يقول :

لقيت من البر التباريح بعدما ... لقيت من البحر أبيضاض الذوائب

ولكن ، بعض المؤرخين و الرواة بالغوا في وصف طيرته ، ولا أظن أنه كما وصفوه خصوصا في تطيره من الماء ، فهو عندما ذكر أهوال البحر و مثله تهديد الخان بالسقوط ، لم يكن على وجه التطير بقدر ما كان يريد أن يصور مدى بؤسه و شقائه لإستدرار عطف الممدوح .[2]

شاعريته:

تفتحت قريحته الشعرية وهو حدث ، و تروى له أبيات مبكرة قالها في هجاء غلام يقال له جعفر ، وفي شبابه اتخذ من الشعر سلعة يبيعها و سلعة يتكسب بها ، على طريقة شعراء عصره فعرض شعره على القواد و الوزراء و الأمراء ، ولم يثبت أنه اتصل بالخلفاء و ممن اتصل بهم و مدحهم محمد بن عبد الله بن طاهر ، والي بغداد مند سنة 237 للهجرة فلم يجزل له بل انتقده مما أغضب ابن الرومي و هجاه هجاءً مراً يقول:

إذا حسنت أخلاق قوم فبئسما ... خلفتم به أسلافكم آل طاهر

جنوا لكم أن تمدحوا وجنيتم ... لموتاكم أن يشتموا في المقابر

وقد أخرج القرن الثالث الهجري شاعرين هجائيين هما أشهر الهجائيين في أدب العصور الإسلامية عامة ، أحدهما ابن الرومي، و الأخر دعبل الخزاعي ، وقد جمع المعري بينهما في بيت واحد و ضرب بهم المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال :

[2] ابن الرومي: الديوان، ج1، ص8.

لو أنصف الدهر هجا أهله كأنه الرومي أو دعبل[3]

وفاته :

مات مسموما سنة 283 أو 284 للهجرة ، و يروى في ذلك أن القاسم بن عبيد الله أوعز إلى ابن فراس أن يدس له السم في خشكنانجة خوفا من هجائه ، فلما أكلها أحس بالسم فقام مسرعا ، فقال له القاسم إلى أين ؟ فأجابه : إلى حيث أرسلتني ، فقال : سلم على والدي عبيد الله ، فأجابه : ما طريقي على النار ، وخرج من مجلسه و أتى منزله و أقام أياماً و مات

و قال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال لي :

أبا عثمان أنت حميد قومك و جودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فما أراه يراك و لا تراه بعد يومك [4]

ديوانه :

ترك ديوانا ضخما و كان غير مرتب ، تناول ابن الرومي فيه الحياة بكل ما فيها من ملذات و آلام ، و أفراح و أحزان و الموت و الشقاء و السعادة يتناول الناس ، و طرق المعاش و العادات و الملابس و الطبيعة و النساء و الغناء و المعازف و الخمرة ، بالإضافة إلى الأغراض التقليدية التي عرفت في الشعر العربي ، من مدح و هجاء و غزل ووصف و فخر و رثاء ، وغير ذلك من الفنون التي اتسعت لها قريحته الفذة .

[3] عباس محمود العقاد: ابن الرومي حياته من شعره، ص 185.
[4] ابن الرومي: الديوان، ج1، ص9.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

1-ابن الرومي : الديوان، تح :أحمد حسن بسج، ج1،ج2،ج3،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1423هـ-2002م

2-امرئ القيس : الديوان، تح :مصطفى الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1423هـ- 2002م

3- طرفة بن العبد :الديوان، تح :محمد حسن ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دط، 2002م.

المعاجم :

4- ابراهيم أغيس و آخرون : المعجم المحيط، ج2، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط2، 1392هـ - 1982م.

5- ابن منظور :لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2002 م.

6- بطرس البستاني :محيط المحيط، تح :محمد عثمان، ج8،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1971م.

7-السيد الشريف الجرجاني :معجم التعريفات، تح :محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، 2004 م.

8- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مج 4،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م.

9-محمد مرتضى الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس، مج 16،ج 31،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ- 2007م.

المراجع :

10-الحسن الكاتب كشاجم : المصايد و المطارد، تح: محمد أسعد أطلس، مطبعة دار المعرفة، بغداد، دط، 1954م.

11-أحمد أمين : ضحى الإسلام، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، دط، دس.

12-أحمد أمين :ظهر الإسلام، ج1،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر، ط2، 1365هـ-1946م.

13-جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، تح :كامل يوسف حسين، دار المعرفة، الكويت، دط، 1984م.

14-جرجي زيدان :تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة القاهرة، مصر، دط، دس.

15- جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، ج5،مراجعة و تعليق :حسين مؤنس، دار الهلال، ط2، 1928م.

16- حليف مي يوسف : الشعر النسائي في أدبنا القديم، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، دط، دس.

17-ركان صفدي :ابن الرومي الشاعر المجدد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2012 م.

18-ريتا عوض :أسطورة الموت و الانبعاث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

20- سامي يوسف أبوزيد :ابن الرومي قراءة نقدية في شعره، دار عالم الثقافة، عمان ، الأردن، دط، 2015م.

21- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة ،مصر، ط2، دس.

22- شوقي ضيف : الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، دس.

23- شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، تح: درويش الحويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999.

24- طه باقر :ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، وزارة الإعلام، بغداد، دط 1975 م.

25- عباس محمود العقاد :ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012 م.

26- عز الدين إسماعيل : الرؤية و الفن في الأدب العباسي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، دط، 1975 م.

27-علي المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر، تح :كمال حسن مرعي، ج4، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ،ط1، 1425 هـ- 2005 م.

28 – قاسم محمود : النفس و العقل عند الفلاسفة الإغريق و الإسلام، مكتبة الانجلو القاهرة، مصر، 1956م.

29- محمد عبد المنعم الخفاجي : الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004 م.

30- محمد الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة و مضاداتها، مكتبة الهلال، بيروت ، لبنان ،ط1 1995 م.

31- محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسة تقويمية، ج1، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، دط، دس.

32- يوسف مارون : ابن الرومي شاعر الوجدان الإنساني دراسة نقدية في مراثيه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1988 م.

المجلات :

33 -ابراهيم رجب عبد الله : الموت و الخوف منه عند الفلاسفة اليونان و الإسلام، مجلة جامعة الانبار، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، العدد 4، 2009 م.

المذكرات:

34- محمد أحمد سعيد حموه : الحياة و الموت في شعر ابن الرومي، أطروحة ماجستير في اللغة العربية، عبد الحق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الدعاء	
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل: الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي	
1- طبقات المجتمع	**06**
2- الحضارة الترف والملاهي	**08**
3- الرقيق والجواري والغناء	**11**
4- المجون والزندقة والشعوبية	**13**
5- الزهد والتصوف	**16**
الفصل الأول: مقاربة في مفهوم الموت	
أولا: مفهوم الموت	**19**
1_ الموت لغة	**19**
2_الموت اصطلاحا	**20**
ثانيا: هاجس الموت في الآداب والفلسفة والأساطير	**22**
1- هاجس الموت في الآداب	**22**
2- هاجس الموت في الفلسفة	**25**
3-هاجس الموت في الأساطير	**28**
الفصل الثاني: أثر الموت وتجلياته في شعر ابن الرومي	
أولا: تجليات الموت في ديوان ابن الرومي من خلال الأغراض	**31**
1- الرثاء	**32**
2- ألوان الرثاء	**33**
3- موضوعات الرثاء	**35**
ثانيا: ملامح الموت في شعر ابن الرومي	**39**
1-البكاء والندب	**39**

فهرس المحتويات

2- الحزن والألم	**41**
3- الرضا والتسليم	**44**
4- الموت والفقد	**45**
ثالثا: معجم الموت في ديوان ابن الرومي	**49**
1- حصر المتقاربات	**49**
خاتمة	**66**
ملحق	**68**
قائمة المصادر والمراجع	**71**
فهرس الموضوعات	**75**
ملخص	

ملخص

ملخص الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على إشكالية صورة الموت في ديوان ابن الرومي وتوضيح رؤيته فيها، وأثرها وتجلياتها في شعره وذلك من خلال التنقيب والبحث في نصوصه الشعرية .

وتأتي هذه الدراسة في: مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، أما المقدمة فقد أتت على موضوع البحث، ومنهج الدراسة و محتوياتها، وسبب اختيار موضوع الدراسة وأهم المصادر والمراجع التي أخدنا منها، ويدور في المدخل عرض حول الحياة الاجتماعية في عصر ابن الرومي.

وتقف هذه الدراسة في فصلها الأول، على مفهوم الموت وتناولت أيضا هاجس الموت في الآداب والفلسفة والأساطير.

أما في الفصل الثاني، فقد تناولنا أثر الموت وتجلياته في شعر ابن الرومي منها تجليات الموت في ديوان ابن الرومي من خلال الأغراض ، ومعجم خاص بأ لفاظ الموت ومتعلقاته .

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها.